الأنوار الأسبوعي

بيروت الاحد ٤ تموز ١٩٧١ (العدد ٢٨٢١)

"ارتريا"

عاصمة الهم والأمل



«الذي يأتي ولا يأتي!»

سيف الاعدام

□ حكم الاعدام الذي نفذ في مطلع هذا الاسبوع باحد المواطنين كان له وقع الصفعة المذهلة بالنسبة للبنانيين كافة. وقد يكون سبب هذا الذهول ان السلطة لم تعدم اي مواطن منذ اثني عشر عاما تقريبا ، وان هذه «الاستراحة» الطويلة انست الناس ان هناك قانونا للاعدام لا يزال ساري المفعول ، وان هذا السيف المسلط فوق رؤوس المجرمين يمكن ان يهوي على تلك الرؤوس عندما تريد السلطة ان تحزم .

واذا كان مبدأ الاعدام مرفوضا من الناحية الانسانية ، وموضوع جدل ونقاش من الناحية القانونية ، فان الاعدام نفسه يصبح ضرورة وطنية واجتماعية اذا ما استشرى الفساد وطغت الجريمة واضطرب حبل الامن واضحت حياة المواطن ، كل مواطن ، في خطر .

وليس هناك من ينكر ان امر الجريمة في لبنان قد استفحل في السنوات العشر الاخيرة ، حتى بات القتل يتم بالسهولة نفسها التي يتناول بها الانسان طعامه وشرابه . ولا شك في ان مرد ذلك يعود الى فقدان هيبة الدولة ، والى امتناع السلطة عن تنفيذ احكام الاعدام الصادرة بحق السفاكين والقتلة .

ولذا كان لا بد لهذه السلطة ، في ظل العهد الجديد الذي ضمن للمواطنين القدرة على «ان يناموا وابواب منازلهم مشرعة» ان تحزم وتعنف ، وان تشهر من جديد سيف الاعدام في وجه الاجرام والمجرمين .

ونحن مع السلطة عندما يصبح الاعدام الوسيلة الوحيدة للحفاظ على امن المواطنين وسلامتهم ، وعندما يصبح ازهاق الروح الشريرة الفدية الوحيدة للارواح الخيرة البريئة .

□ س — ف □

ملحق الانوار الاسبوعي

مجلة اسبوعية جامعة

رئيس التحرير : **روبير غانم**

الاخراج : **جان بلطه**

يصدرها : دار الصياد للصحافة والطباعة والنشر ش.م.ل رأسمالها ٣ ملايين و٣٠٠ الف ليرة لبنانية مدفوع بكامله

المدير العام : **بسام فريحه**

الادارة العامة والتحرير : دار الصياد ، الحازمية ، ص.ب ٨٠٠ - ١١ - ٩١٨ تلفون : ٢٨٠٢٦٠ / ٤ / ٢٨٠٢٦٠ خطوط الاعلانات : مكتب خاص ، بناية صمدي وكنعان ، الطابق الثاني ، غرفة رقم ٢٥ و٢٦ شارع سوريا ، تلفون ٢٩٥٨١٧ - ٣٥٠٨٣ - ٢٥٥٠٨٣ - ٢٥٩٩١١ خط خاص للتوزيع ٢٨٥٨٧٨

لا

لماذا قالت جزيرة مالطا .. لمنظمة حلف شمالي الأطلسي؟

بقلم مهى ياسمين

●● ارض مساحتها ٢٤٦ كيلو مترا مربعا يقيم عليها اربعمائة الف شخص ويتزعمها رجل اسمه دوم مينتوف هي اليوم مثار قلق دوائر حلف شمالي الاطلسي ومدار بحث حول طبيعة مستقبل هذا الحلف في منطقة البحر الابيض المتوسط .

ذلك ان جزيرة مالطا التي وهبها الامبراطور شارل كنت لفرسان رودس سنة ١٥٣٠ وصمد بها هؤلاء امام الهجمة العثمانية حتى العام ١٥٦٥ قبل ان ترسو في احضان الامبراطورية البونابرتية حتى العام ١٩٦٨ تاريخ دخولها في كنف الوصاية فالاحتلال الانكليزي ، تحتل موقعا استراتيجيا من الدرجة الممتازة في المتوسط بين صقلية الايطالية الى الشمال وتونس وليبيا الى الغرب والجنوب .

وكما اعتبرتها المملكة المتحدة قاعدة لا غنى عنها لطرق مواصلاتها الى الهند ، عندما كانت لا تغيب الشمس عن اراضي الامبراطورية البريطانية رات فيها القيادة الاطلسية المقر المناسب لاقامة قيادة اركان حرب القوات البحرية الحليفة لجنوب اوروبا التابعة للقيادة العامة ومركزها نابولي في ايطاليا .

ولم يكن هذا رأي الزعيم المالطي دوم مينتوف الذي لم ير مبررا لجعل بلاده مقرا لقيادة حلفية من هذا المستوى دون ان تكون عضوا مشاركا في مجموعة دول حلف شمالي الاطلسي .

لذا سارع بعد ايام من فوز حزب العمال الذي يترأسه بالانتخابات وتوليه رئاسة الوزراء باجراء علني بعيد الاصداء ، فطرد الاميرالاي الايطالي جينو بيراندلي القائد العام للقوات البحرية في المتوسط لدول حلف شمالي الاطلسي .

واذا كان من الجائز الافتراض ان لمس هناك « طردا » بالمعنى الصحيح ، فليس من المعقول التغافل عن الطلب الذي تقدم به دوم مينتوف الى الحكومة البريطانية بضرورة اعادة النظر في الاتفاقات العسكرية والمالية المعقودة بين البلدين اثر اعلان استقلال مالطا في العام ١٩٦٤ .

اعادة النظر هذه في العلاقات الخاصة التي تربط مالطا ببريطانيا كانت مرسومة في التباشير التي حملت دوم منتوف ، في معركة انتخابية قاسية ، الى حلبة الانتصار في ١٧ حزيران الفائت ، وجعلته يلتزم بواجب كشف البنود التي انطوت عليها معاهدة ١٩٦٤ الاستقلالية .

وقرن رئيس الوزراء المالطي القول بالفعل ، فكانت خطوته الاولى للتنديد بالمعاهدة التي هي عبارة « عن ترتيب بين سيد وعبد » ، استدعاء بعض السفراء من الخارج ، كسفير مالطا في بروكسل ، كورمي ، الذي كان لولب الدعوة الى تقوية الارتباط بين بلاده ودول منظمة الاطلسي ، وتنحية كبار الموظفين الخ .



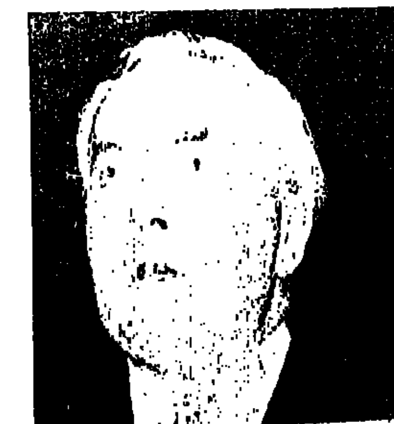
□ دوم مينتوف □

ما وراء هذه التغييرات الجذرية

ساهم الوضع الداخلي في البلاد ، الى حد كبير في تطوير النظرة السياسية لشعب مالطا . وجاء تزايد عدد السكان بنسبة تسعة بالمائة وتدفق السياح وجماعات كبيرة من البريطانيين الهاربين من ارتفاع نسبة الضرائب في بلادهم والناشدين لجو من الاستقرار والراحة في المستعمرة الانكليزية السابقة ، وازدهار حركة التجارة في ميناء لافاليتا الفخم ليساهم الى حد كبير في انتعاش هذه الجزيرة وارتفاع مستوى الحياة فيها .

يضاف الى ذلك قيمة خمسة ملايين جنيه استرليني تدفعها لندن الى حكومة مالطة سنويا على شكل مساعدات وقروض ، فيما تقوم بانفاق حوالى احد عشر مليون جنيه استرليني سنويا على قواتها المرابطة في الجزيرة والتي تضم اكثر من الفي رجل لسلاح الطيران وفرقتين تابعتين لطائرات الاستكشاف .

غير ان حكومة العمال السابقة بزعامة هارولد ولسون سددت ضربة قاسية لاقتصاد هذه الجزيرة عندما عمدت الى الحد من النفقات العسكرية بشكل ملموس وحصر نشاط الورش البحرية التي كانت تستوعب عددا كبيرا من الايدي العاملة . وجاءت حكومة المحافظين وبقي الوضع بالنسبة لمالطا على ما كان عليه .



□ هارولد ويلسون □



□ ادوارد هيث □

والبوم تتساءل العاصمة البريطانية عن المدى الذي سيذهب اليه دوم مينتوف ، وهل هو يسعى الى الضغط على العاصمة الانكليزية لزيادة قيمة المساعدة المالية ام يرمي الى ابعد واخطر من ذلك فيدعو ادوارد هيث الى سحب قوات صاحبة الجلالة المقيمين في الجزيرة منذ ما يليف على قرن ونصف وفي اقرب وقت؟

الموقع الاستراتيجي الممتاز

لقد ادرك رئيس وزراء الجزيرة المتوسطية الصغيرة ، بعد ايام قليلة من توليه الحكم ، انه يستطيع الاستفادة الى اقصى حد من الموقع الاستراتيجي الممتاز لبلاده ، واستغلال الفرص المتاحة من تصارع التيارات المختلفة وتسابق المصالح الدولية على اكتساب ود دول المنطقة ، بدلا من الاتكال على الفوائد المحدودة التي يوفرها وجود القاعدتين البريطانيتين الجوية والبحرية في البلاد .

يضاف الى ذلك رغبة حكومة مالطا في اقامة علاقات طيبة مع الجوار العربي ، الذي كان له عبر التاريخ اثر كبير في ثقافة سكان مالطا ولغتهم التي تضم نسبة خمسين بالمائة من التعابير العربية . وتجيء الزيارة التي تقوم بها قطع من الاسطول الليبي للجزيرة الصغيرة ، وفي هذا الظرف بالذات لتؤكد صلة الجوار الحساسة التي تمنح مالطا موقعا مؤثرا في استراتيجية الدفاع العربية .

هذا في الوقت الذي يتاكد فيه يوما بعد يوما ، ان وضع الجزيرة ، بالنسبة لمجموعة الحلف الاطلسي شاذ ومذل .

ففي الوقت الذي لا تشارك مالطا في اي مسؤولية في هذه المنظمة ، يقوم على ارضها مركز قيادة عسكرية هامة لقوات الحلفاء الخاصة بالدفاع عن جنوب اوروبا ، وتظل القضايا الرئيسية ذات البحث معلقة بين لندن ولافاليتا ، لا بين العاصمة المالطية والقيادة الاطلسية القائمة على اراضيها .

ويروى انه عندما طلب دوم منتوف اثر توليه السلطة في مالطا من السفير الايطالي فيها ديالو سورو اعلام الرئيس اميليو كولومبو رئيس وزراء ايطاليا ، برغبة حكومته في تدخل ايطالي مباشر لدى القيادة الاطلسية لنقل الاميرالاي بيراندلي من مركزه ، كان الجواب المباشر للسفير الايطالي ان قرارا كهذا ، يتعلق مباشرة بالقيادة الاطلسية ولا علاقة للحكومة الايطالية به .

هذا الجواب كان كافيا ليدرك الزعيم العمالي المالطي دوم مينتوف ان بلاده تدور في محور جهنمي دون ان يكون لها موقف او حتى تحترم لها ارادة . فاتخذ قراره بطرد القائد العسكري الكبير مهملا حكومته تبعات المضي في طريق شاق للحصول على السيادة الحقيقية لجزيرة تتمتع بمركز استراتيجي على درجة كبيرة من الاهمية ان لم يكن من الخطورة .

ذلك ان الدوائر السياسية في لندن وروما وواشنطن وبروكسل تتخوف من احتمال حصول الاسطول السوفياتي على امتيازات او تسهيلات خاصة في الجزيرة على غرار ما يحصل عليه حاليا الاسطول الاميركي السادس والاسطول البريطاني .

وتصرف دوم مينتوف بحذر كبير ، وسارع الى التاكيد بعدم نية حكومته التنازل عن اي قاعدة او مركز في البلاد « للسوفيات ، او الاميركين ، او للايطاليين » .

اما بالنسبة للبريطانيين الذين يقدمون للجزيرة اكثر من ثلث مواردها على شكل مساعدات ولقاء التمتع بامتيازات معينة في البلاد ، فان المالطيين يشعرون باكثر من الغضب تجاههم .

ذلك ان الرأي العام المالطي يلوم بريطانيا لانها لم تكافىء الجزيرة الصغيرة كما يجب على الشجاعة الكبيرة التي اظهرتها خلال الحرب العالمية الثانية .

كانت القنابل تنهال عليها ليلا نهارا ، من العام ١٩٤٠ الى العام ١٩٤٣ ولاقت جزاء هذا الاستبسال والاخلاص للتاج البريطاني وسام « صليب القديس جورج » ، في الوقت الذي كان المالطيون يشعرون كيف التهمت الحكومات البريطانية تجاه بلادهم سياسة « الاحسان » بدل السعي الى تطوير المقومات الاقتصادية والتجارية في الجزيرة .



ماضي الاعدام يلقي الأضواء على حاضره

تنفيذ العقاب يوطد هيبة الأمن ويوفر الاستقرار

بقلم اليان الاحمر

□□ « العدل اساس الملك» شعار تغنت به الاجيال ، لانه الحد الفاصل بين الخير والشر ، والضمير الحي الذي يقف الى جانب الحق دوما ويناهض الباطل ابدا ...

ومما لا شك فيه انه لا يمكن ان يستقيم حكم لحاكم ، ما لم يتخذ العدالة قاعدة له ، لانها تنصر المظلوم على الظالم .. وعندما يشعر المواطن بان حرمة القضاء غير مصانة ، اي عندما يستطيع المجرم القاتل او المعتدي ان ينجو من يد العدالة ، وحين يعجز المظلوم عن بلوغ حقه ، عندها يضمحل شعور الثقة بالدولة ويزول ، ويبدأ الانحلال بمختلف الوانه واشكاله وتبدأ الجريمة تاخذ طريقها الى واجهة الحكم ، والمجرم الى مركز التسلط للتمادي في اجرامه ، فتسود شريعة الغاب وتبرز فئات متسلطة مجرمة لتتحكم بالفئات الاخرى ، التي تصبح مستضعفة نتيجة غياب الدولة .

واذ ذاك يصبح القانون مجرد حروف ميتة ، لا ينقصها سوى مراسم الدفن في حفل جنائزي ، واكاليل الزهور توضع فوقها في كل سنة للذكرى .



□ الرئيس سليمان فرنجية .. تنفيذ الاعدام □



□ الرئيس السابق شارل حلو .. اذا عرف السبب ... □

نقطة تحول

الا ان تنفيذ حكم الاعدام صبيحة يوم الاثنين الماضي بعادل ابراهيم هلاوي ..وبعد موجة الاجرام التي استفحل امرها في السنوات الاخيرة ، كان بمثابة مفاجأة ايقظت الضمائر وحركت النفوس لتعطي صورة جديدة من المرحلة التي بدأ يعيشها لبنان منذ فجر الثامن والعشرين من حزيران الماضي.. مرحلة العودة الى حكم القانون وتعزيز القضاء وتحريره من العوامل التي تسلطت عليه وزارية كانت ام نيابية ام سواها ..

وتنفيذ حكم الاعدام هذا ياتي بعد ١٢ سنة تقريبا على اخر حكم بالاعدام نفذ في لبنان . ذلك انه في عام ١٩٥٩ تم تنفيذ الاعدام بالشرطي وهبي بيم ..

وتم تنفيذ حكم الاعدام هذا استنادا الى القانون الذي صدقه المجلس النيابي في ١٦ شباط القاضي باعدام القاتل دون منحه الاسباب التخفيفية .

وادى تنفيذ حكم الاعدام الى وقف موجة القتل والثار والانتقام التي كانت تتفاعل في اعقاب ثورة ١٩٥٨ .

وكانت هذه الخطوة ، رادعا فعل فعله لمدة من الزمن على الصعيد العام .. الا ان حوادث القتل وشهوة الانتقام لم تمت .. بل عادت للظهور في اول فرصة . وصدرت احكام بالاعدام دون ان تقترن بالتنفيذ .

واستمرت هذه الحال حتى يوم الاثنين الماضي وصدرت في غضون ذلك ملفات الاحكام بالاعدام ، وعشرات المحكومين في السجون ، دون ان ينفذ الحكم باحد ..

وقد علق قانون اعدام القاتل الاسباب التخفيفية التي ينص عليها قانون العقوبات واستمر العمل به حتى عام ١٩٦٤ حين الغاه المجلس النيابي . وعاد من جديد مفعول المواد ٥٤٧ و٥٤٨ و٥٤٩ . ونصت هذه المواد على ما يلي :

المادة ٥٤٧ — من قتل انسانا قصدا عوقب بالاشغال الشاقة من خمس عشرة سنة الى عشرين سنة .

المادة ٥٤٨ — (المعدلة بقانون ٢٤ ايار سنة ١٩٤٩) : يعاقب بالاشغال الشاقة المؤبدة على القتل قصدا اذا ارتكب :

١ — لسبب سافل .

٢ — للحصول على المنفعة الناتجة عن الجنحة .

٣ — على موظف في اثناء ممارسته وظيفته او في معرض ممارسته لها .

٤ — على حدث دون الخامسة عشرة من عمره .

٥ — على شخصين او اكثر .

المادة ٥٤٩ — (المعدلة بقانون ٢٤ ايار سنة ١٩٤٩): يعاقب بالاعدام على القتل قصدا اذا ارتكب :

١ — عمدا .

٢ — تمهيدا لجناية او جنحة ، او تسهيلا لفرار المحرضين على تلك الجناية او فاعليها او المتدخلين فيها او للحيلولة بينهم وبين العقاب .

٣ — على احد اصول المجرم او فروعه .

عن اذنكم يا شباب ...

□ قال السيد موسى جريديني رئيس دائرة النيابة العامة التمييزية ومجلس القضاء الاعلى ، الذي احيل على التقاعد في مطلع شهر تموز الجاري ، وقد حضر العديد من عمليات تنفيذ احكام الاعدام بصفته كاتبا في العدلية : يجب الابقاء على عقوبة الاعدام في القوانين بسبب الاوضاع العامة في بلادنا .

واشار الى ذكرياته حول حوادث الاعدام فقال ان ابرزها عملية اعدام فيكتور عواد الذي كان قد ارتكب العديد من حوادث القتل .

واضاف : يوم تنفيذ حكم الاعدام رغم ان الوقت كان في الصباح الباكر وكان يوما ممطرا فان عشرات الالوف من المواطنين تدفقوا الى ساحة المشنقة «للفرجة» ، حتى انهم اخترقوا حواجز قوى الامن .

وقال : قرات حكم الاعدام وعندما انتهيت هجمت الجماهير ، حتى ان ملف الدعوى والحكم ضاع من يدي تحت المطر وعثر عليه رجال الدرك في ما بعد .

واضاف : اثناء تلاوة حكم الاعدام ضجت الجماهير فقال فكتور عواد وهو يستمع الى الحكم : «عن اذنكم يا شباب تنسمع شو عم يقول الافندي ...» .

وعندما تقدمت امراة كان عواد قد قتل ولدها ووضعه في كيس وقالت : «هيدا الكيس اللي حط فيه ابني بعد ما قتلو ؟» .

فسمع فيكتور عواد كلامها وقال : « بعدك هون يا ... » .

اذا عرف السبب بطل العجب

□ روى الامير عبد العزيز شهاب حادثة وقعت اثناء تنفيذ احد احكام الاعدام وكان انذاك كاتبا في العدلية قال :

ان المتهم الذي حكم عليه بالاعدام آنذاك كان فقيرا ولم يتقدم احد للدفاع عنه وعندها كلفت هيئة المحكمة الرئيس السابق شارل حلو ، وكان انذاك محاميا ناشئا ، بالدفاع عنه.

واضاف : ولدى تنفيذ حكم الاعدام شنقا كان الاستاذ شارل حلو حاضرا وكان الطبيب الشرعي آنذاك الدكتور الياس الحلو ، ابن عم الرئيس السابق .

وبعد ان نفذ الاعدام كان على الطبيب الشرعي ان يرى الجثة ويثبت الوفاة حتى يدون ذلك في المحضر .. الا ان الدكتور الياس الحلو لم يتحرك لمعاينة الجثة رغم انتظاري فقلت له : « عجل عاين الجثة تنسكر المحضر ونفل ». فالتفت الدكتور حلو الي وقال : شو انا عم فكر بالجثة عمرها ما تكون .. عم فكر بشارل.

واضاف الامير عبد العزيز شهاب قائلا : فالتفت لارى شارل حلو فوجدته في حالة غير مرضية ...

٤ — في حالة اقدام المجرم على اعمال التعذيب او الشراسة نحو الاشخاص .

عودة الى الماضي

بعد عرض هذه التطورات لا بد من العودة الى الماضي .

وهنا نقول ان الوزارة الاولى التي شكلت في العهد الاستقلالي من ٢٥ ايلول ١٩٤٣ الى ٢ تموز ١٩٤٤ وكان رئيسها المغفور له رياض الصلح ركزت في بيانها الوزاري الاول على القضاء والعدالة فنص البيان على ما يلي :

« ومن اهم ما تعتزم الحكومة تحقيقه تنظيم القضاء اللبناني تنظيما نهائيا يتفق مع مقتضيات الاستقلال الذي يتمتع به لبنان . واذا كان العدل هو اساس الملك فهو كذلك دعامة اساسية من دعائم الاستقلال الصحيح . فالحكومة ترى لزاما عليها ان يؤمن التنظيم المقبل استقلال القضاء والقضاة على اختلاف درجاتهم ومراتبهم ليمارسوا واجباتهم المقدسة بروح العدل والتجرد والنزاهة والطمأنينة التامة . وستعيد النظر في ملاك القضاة اللبنانيين فترفع مستواهم الى درجة يؤمن معها الاستقلال المادي الذي هو اساس الطمأنينة والاستقلال الادبي وستؤمن توزيع العدالة في مختلف انحاء الجمهورية بصورة تتفق مع رغبات وحاجات الاهلين ومنها سرعة الفصل في قضاياهم ... »

العبرة في التنفيذ

وكلام البيانات الوزارية جميل وجميل جدا ، الا ان العبرة في التنفيذ .. والتنفيذ غالبا ، ما يأتي دون الشيء المطلوب ، من هنا كان استمرار الاجرام رغم تدابير الردع التي اتخذت في العهود الاستقلالية والتي قضت باعدام عدد من المحكومين قارب الخمسة والعشرين شخصا .

تشجيع الجريمة

ولا تقتصر الاسباب الرئيسية التي ساهمت الى حد كبير في تشجيع الجريمة ، عبر العهود الاستقلالية وسواها ، على عدم تنفيذ احكام الاعدام بجميع المحكومين فحسب ، بل هناك عامل اساسي لعب دوره في هذا المجال ، وهو العفو عن المجرمين في مختلف العهود .

وهذه الظاهرة كانت ترتدي الطابع السياسي في غالب الاحيان ، اذ ان الدولة العثمانية كانت قد اصدرت العديد من احكام الاعدام غيابيا ، فجاء الانتداب الفرنسي وعفا عن جميع المحكومين . وبعد ان نال لبنان استقلاله ، تم العفو من جميع المحكومين في عهد الانتداب الفرنسي . وبين هذه وتلك ، اصدر الفرنسيون عفوا عندما حاول الانكليز التمركز مكانهم في لبنان . ولقد لعبت هذه الظاهرة دورا رئيسيا في تشجيع الجريمة لان المجرم يقترف جريمته دون الخوف من العقاب ، بل يعيش على امل العفو .

ملقى ملوك

□ قال المير عبد العزيز شهاب انه في احدى المرات ، وكان المحكومون بالاعدام ينقلون بواسطة عربات يحرسها رجال امن ، وكانت الخيالة « تصطف » على الجانبين في المكان الذي يتم فيه الاعدام امام السراي ، ولدى احضار احد المحكومين لتنفيذ الاعدام قال لحارسه :

« شفت شوفا الملقى مثل ملقى الملوك .. والله لو متنا في الضيعة ما كان هذا حالنا هنا .. كما متنا على الكرسي » .

جرائم الثار والشرف

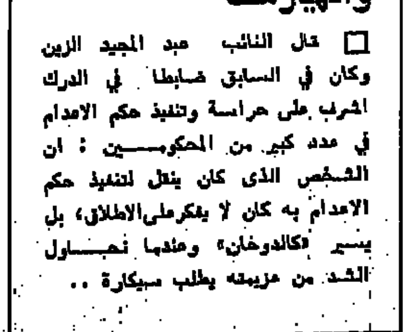
يضاف الى صورة الجرائم صورة اخرى هي حوادث الثار وجرائم الشرف . انها كثيرة لا تحصى .. غير انها لم تؤد مرة الى العقاب . واذا كانت بعض الاحكام قد نفذت بالقتلة ، فلانها لم تصل الى حد الاعدام .

اما جرائم الشرف ، فان القانون اللبناني ينظر اليها نظرة خاصة رغم بعض الصيحات التي صدرت هنا وهناك ، ذلك لان التقاليد والعادات في لبنان لا تزال تعطف على هذا النوع من المجرمين . وعليه فان جرائم «غسل العار» تحظى بالتأييد ويتصف صاحبها بالبطولة ..

وقد طرح على بساط البحث مصير الاحكام السابقة ، وخصوصا احكام الاعدام وسط مقترحات مختلفة منها ، يقول بالعفو الشامل عن جميع الجرائم والحوادث التي حصلت في الماضي ، ومنها ما يقول باعدام جميع المحكومين ، على اعتبار ان ذلك يعود لرئيس الجمهورية لان الدستور منحه صلاحيات العفو الخاص بموجب المادة ٥١ من الدستور التي نصت على ما يلي : « رئيس الجمهورية ينشر القوانين بعد ان يكون وافق عليها المجلس ويؤمن تنفيذها بما له من السلطة التنظيمية وليس له ان يدخل تعديلا عليها او يعفي احدا من التقيد باحكامها وله حق العفو الخاص . اما العفو الشامل فلا يمنح الا بقانون .

في ضوء كل ذلك راى رئيس الجمهورية ان بين المحكوم عليهم بالاعدام من لا يمكن العفو عنهم كقتلة انطوان عاصي ، وان تنفيذ الاعدام بجميع المحكومين يشكل مجزرة يمكن تفسيرها بانها عملية انتقام ، لان احكام الاعدام هذه صدرت في غير عهده وكان على سواه ان يبت بها سلبا او ايجابا .

وحيال كل ذلك اخذ على نفسه تنفيذ احكام الاعدام التي تصدر في عهده .



بين ضبط الاعصاب وانهيارها

□ قال النائب عبد المجيد الزين وكان في السابق ضابطا في الدرك اشرف على حراسة وتنفيذ حكم الاعدام في عدد كبير من المحكومين : ان الشخص الذي كان ينقل لتنفيذ حكم الاعدام به كان لا يفكر على الاطلاق ، بل يسير «كالدوخان» وعندما نحاول الشد من عزيمته يطلب سيكارة ..

الحكم ملح الارض

يقول مثل عامي ان الحكم ملح الارض ، وانطلاقا من هذا القول بدأ رئيس الدولة يعمل من اجل توطيد هيبة الامن وتوفير الطمأنينة والاستقرار لجميع المواطنين .

وقد اجمعت آراء السياسيين ورجال القانون على ان تنفيذ احكام الاعدام وترك القضاء بعيدا عن المداخلات ، كفيل بنقل البلاد الى مناخات طالما حلم بها المواطنون وكانت مجرد اصلاح .

حتى ان انتشار السلاح في ايدي المواطنين يصبح عديم الفائدة ويختفي شيئا فشيئا عندما يستتب الامن ، ويصبح المواطن غنيا عن حمل السلاح للدفاع عن نفسه .. لان السلطة تصبح المسؤولة عن حمايته والدفاع عنه وعليها يتلاشى عدد المجرمين ، وينتقل لبنان الى مناطق الخير ، مناطق الامن الذي يولد الاستقرار والازدهار .

الاجرام

.. بين مسؤولية المجتمع والفرد

بقلم المحامي سليمان سليمان

□□ في سلسلة ندوات الفكر الحر ، النصف الشهرية ، التي تنظمها امانة الشؤون الثقافية لحركة التحرر الديمقراطي في جبيل ، القى المحامي سليمان سليمان محاضرة بموضوع « الاجرام بين مسؤولية المجتمع والفرد » تحدث فيها عن اسباب الاجرام ودوافعه الجغرافية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية . وقد خلص الى اعتبار المجرم في أكثر الاحيان ضحية اوضاع شاذة تستبد به وتملي عليه تصرفاته وبالتالي الى اعتبار المجتمع المسؤول الاول من انتشار موجة الاجرام . وطالب في النهاية بتوفير اسباب الحياة الكريمة امام المجرم والتخلي عن السجون المعروفة التي تعتبر مدرسة مثالية للاجرام ، والاستعاضة عنها بمصحات يشرف عليها اطباء نفسيون ، كما طالب بان تأخذ الدولة على عاتقها تأمين فرص العيش اللائق لافراد عائلة المجرم اثناء قضاء هذا الاخير فترة الاصلاح كي لا تدفع الحاجة هؤلاء في طريق الاجرام .

وينشر « الملحق » في ما يلي مقتطفات من هذه المحاضرة :

استهل المحاضر الحديث بقوله :

موجة من الاجرام تجتاح مجتمعنا بعنف لم يألفه في ايامه السابقة فلا يكاد يمر يوم يخلو من حادثة قتل او سرقة او غيرها من اعمال الاجرام التي اخذت تهز اركان هذا المجتمع وتفرض عليه ايجاد الحلول لهذه المعضلة الاجتماعية الشائكة .

فعلاقة الفرد بالدولة والتوازن بين حقوقهما وواجباتهما المتبادلة احتلت مكانا مرموقا من الحقوق الجزائية عبر التاريخ وحتى ايامنا هذه ، فمن ناحية يحاول الاول التمتع بحريته التامة بينما تحاول الثانية من ناحية اخرى ايجاد جميع الوسائل لتثبيت سلطتها وارادتها .

انها مشكلة اجتماعية وسياسية اكثر مما هي مشكلة قانونية ، وتطوير هذه العلاقات وايجاد اكبر قدر من التوازن بينها كان ولا يزال موضوع دراسات عديدة سواء على الصعيد الفلسفي او القضائي او السياسي وجميعها تدور حول شرعية العقاب ، الذي يمثل التعبير الاول عن سلطة الدولة .

ثم يتحدث عن اسباب الاجرام ودوافعه فيقول :

ان تفشي ظاهرة الاجرام وانتشارها يستند الى عوامل اجتماعية عديدة كالعامل الجغرافي والثقافي والسياسي والاقتصادي . ولكل من هذه العوامل تأثيرات تتفاوت من حيث الاهمية والعمق . فلا بد الان من دراسة كل عامل والدور الذي يلعبه في انتشار موجة الاجرام هذه .

ان دراسة تأثير العامل الجغرافي على الاجرام ابتدأت مع « غري دوشان نوف » مدير الشؤون الجنائية في وزارة العدل الفرنسية الذي قام باحصاءات في فرنسا ما بين عامي ١٨٢٦ و ١٨٣٠ خرج بنتيجتها بالملاحظة التالية : ان الجرائم الواقعة على الاشخاص تغلب في المناطق الجنوبية وفي الفصول الحارة بينما تغلب الجرائم الواقعة على الاموال في المناطق الشمالية وفي الفصول الباردة (علما بان المناطق الشمالية من فرنسا باردة والجنوبية حارة نسبيا) .

وقد جاء في ما بعد « كاتلة » « وانريكو فرري » فوضعا دراسة شاملة لتأثير ارتفاع درجة الحرارة على نوعية الاجرام وانتشاره ، ومن الاحصاءات التي اجريت في القارتين الاوروبية والاميركية تظهر جليا صحة النظرية ، فقد تبين ان الجرائم ضد الاشخاص تزداد مع ارتفاع درجة الحرارة وطول النهار ، بينما تزداد الجرائم ضد الاموال مع انخفاض الحرارة وازدياد ساعات الليل .

عامل الثقافة

ان الدور الذي تلعبه الجغرافية في انتشار الاجرام بالرغم من كونه دورا هاما بعض الشيء فانه يبقى ثانويا اذا ما قيس بالادوار التي تلعبها العوامل الاخرى ويأتي عامل الثقافة في الدرجة الثانية من هذا السلم .

اما العناصر التي تكون عامل الثقافة فهي كثيرة منها : التعلم والصحافة والسينما وكتب المطالعة ..

وعندما يصل المحاضر الى الكلام عن الصحافة يقول :

اما الصحافة فتأثيرها على الاجرام بشكل عام يبقى ضئيلا وذلك خلافا للراي السائد ، ولكنها قد تكون حافزا اضافيا للاجرام في بعض الاحيان من خلال قراءة اخبار الاجرام التي اخذت تحتل مكانا مرموقا في الصحافة اليومية ليس في لبنان وحسب بل في العالم اجمع بتركيزها على الاساليب والتفاصيل التي قد تساعد ذوي الميول الاجرامية على اكتساب معلومات جديدة في هذا المجال .

ودور التلفزيون والسينما وكتب المطالعة هام وذو وجهين مختلفين تأثير الاول ايجابي والثاني سلبي ويعود ذلك الى اختلاف الافلام والكتب وتنوعها : فاندفاع الاجيال الجديدة نحو السينما والمطالعة يجعلها تتقمص بشخصياتها وتسعى لتعيش حياتهم دون انتباه الى كل ما هو خيال ووهم في هذه الحياة والتصرفات . فاذا كانت الافلام والكتب مثل النوع الرخيص الذي يمجد الاجرام والقسوة الجسدية وغيرها كالافلام والكتب البوليسية مثلا فان نتيجته المحتومة تكون ازدياد الاجرام نتيجة سعي الفرد الى التقليد بينما تكون الافلام الاخرى التي ترتكز على الفضائل النفسية والاخلاقية وتمجدها ، عامل تهدئة يحد من انتشار الجريمة في المجتمع .

العامل السياسي

ويتابع المحاضر حديثه عن العامل السياسي فيقول :

ويتلخص في السياسة الخارجية والداخلية وفي السياسة الجزائية المتبعة في مجتمع معين . وسنتناول هنا بالبحث تأثير السياسة الخارجية والداخلية تاركين السياسة الجزائية التي تشكل قسما رئيسيا من بحثنا المتعلق بمسؤولية المجرم ودور الدولة .

فالسياسة الخارجية المؤثرة في الاجرام وتطوره تنحصر في علاقات الحرب والسلم بين الدول المختلفة علما بان سائر العلاقات الدولية ليس لها تأثير فعال في هذا المجال . وقد ظهر في الاحصاءات التي اجريت على المجتمعات المحاربة تقلص شديد في نسبة الاجرام اثناء فترة الحرب تبعا لتعبئة الجيوش وما يرافقها من عوامل نفسية وانسانية ، ولكن ذلك يعقبه موجة اجرام شديدة فور انتهاء فترة التعبئة كردة فعل لهذا الانضباط الطويل .

اما على صعيد السياسة الداخلية فان الثورات والاضطرابات يرافقها دائما ارتفاع هائل في نسبة الاجرام ، والاجرام المقصود هنا ليس الاجرام السياسي لان هذا الاخير اجرام مصطنع والمجرمون السياسيون ليسوا مجرمين حقيقيين بل اشخاص يعملون لهدف سياسي وبدافع شريف في اغلب الاحيان .

والعامل الاجتماعي يضيف المحاضر ، هو العامل الرابع في سلسلة العوامل التي تسبب الاجرام وتدفع اليه ونتناول فيه الامراض والآفات الاجتماعية وفي مقدمتها الادمان على الكحول والمخدرات وتفشي بعض الامراض الوراثية .

ظهرت علاقة الادمان على الكحول بالاجرام منذ امد بعيد ، واصبح اليوم من المتفق عليه ان هذه الآفة الاجتماعية تشكل ركنا من اركان انتشار الجريمة في المجتمع المعاصر . ولكن لما كان هذا العنصر ليس الوحيد من بين العناصر المؤثرة في هذا المجال فان اهميته تبقى مدار بحث وتمحيص ، يزيد في غموضها ضعف الاحصاءات وعدم توفرها .

اما بالنسبة الى جرائم الاخلاق فان للادمان على المسكرات الدور الظاهر . فالكحول بالاضافة الى كونها تحرك الشهوة الجنسية تضعف الارادة وسيطرة العقل وبالتالي تطلق العنان للغرائز وهكذا يتبين ان ٦٥ بالمئة من جرائم الاغتصاب تقع تحت تأثير الكحول وغالبية العلاقات المحرمة بين الاقارب كالعلاقة بين الاب وابنته والاخ واخته تحصل في المرة الاولى تحت وطأة السكر الشديد .

يضاف الى كل ذلك ولادة جيل من المتخلفين وذوي العاهات الاجتماعية ، فالآباء المصابون بمرض الادمان على الكحول ينجبون في اغلب الاحيان اولادا مصابين بآفات اجتماعية اما عن طريق الوراثة واما عن طريق التشرد الذي يصابون به نتيجة اهمالهم وعدم الاعتناء بهم .

وفي حديثه عن العامل الاقتصادي يقول :

اما علاقة الاجرام بالاوضاع الاقتصادية فتبدو للوهلة الاولى غريبة ومستهجنة ولكن هذا الاستغراب يتبدد سريعا عندما نلاحظ ان كل شيء في المجتمع البشري يرتكز على العلاقات والاوضاع الاقتصادية وان التفاوت الاقتصادي والظلم الاجتماعي من اشد الدوافع الى الاجرام وبنوع خاص الى الجرمية المكتسبة . وهكذا فان تطور الاقتصاد يؤدي الى تطور في الجرائم وبشكل عام يؤدي النمو الاقتصادي الى انخفاض ملموس في نسبة الجرائم وهذه النتيجة توصل اليها « هكتور دونيس » في بلجيكا بعد الاحصاءات والدراسات التي قام بها .

الاجرام والتقييم الانساني

اما علاقة الاجرام بالتقييم الانساني بالنسبة للثروة فانها علاقة عميقة الجذور والابعاد . ففي مجتمع ترتكز قيمه على الثروة ويتصدره سؤال : ما هي ثروتك ؟ من انت ؟ وماذا تعمل ؟ ان مجتمعا كهذا يخلق جوا ملائما لانتشار الاجرام وبشكل خاص جرائم الاقتصاد كالتهرب من الرسوم والضرائب ، وتزوير العملة والمضاربة غير المشروعة والمراباة وسرقة اموال الدولة ، والتهريب والمتاجرة بالمخدرات وغيرها .. فغاية المجرم الوحيدة هي تحصيل الثروة . لكن غالبا ما تتعدى نتائج تصرفاته الغاية التي يهدف اليها . ففي مجال التلاعب بالمواد الغذائية والمتاجرة بالمخدرات والمواد الصيدلية الممنوعة ، يسيء المجرم الى صحة المواطنين ويقبل مسبقا النتيجة المحتملة لتصرفه هذا وان كان سعيه الاساسي بعيدا عنها مستغلا ثقة الضحية به لتحقيق رغباته .

ان هؤلاء المجرمين ينتمون غالبا الى الطبقات الغنية او المتوسطة اما ضحاياهم فغالبا ما ينتمون الى الطبقات الفقيرة المعوزة . وهدف هؤلاء المجرمين من الطبقة المتوسطة هو السعي الى بلوغ الطبقة الغنية التي تستأثر بالحكم والسلطة والامجاد . وهذا النوع من الجرائم خطير بنوع خاص لانه يهتم تسلسلا جديدا في الاجرام .

مسؤولية المجرم — العقاب

وينتهي المحاضر الى القول :

امام هذا الواقع لا بد من التساؤل عن مسؤولية الفرد عن اعمال الاجرام التي ارتكبها وهل هو المسؤول الوحيد عنها ؟ ام يتحمل المجتمع جزءا من هذه المسؤولية ؟؟ وبالتالي هل يقتضي معاقبة المجرم ؟؟

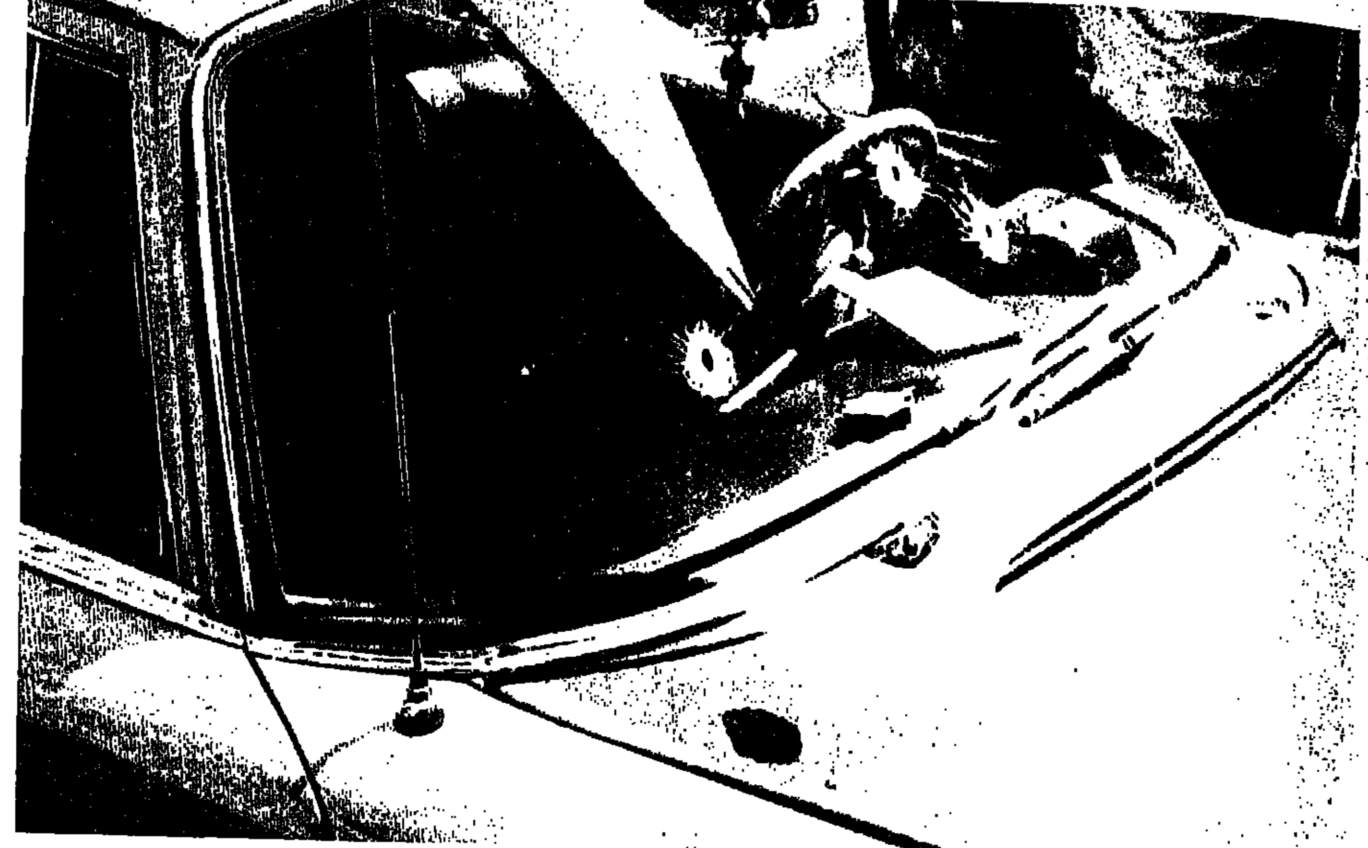
للجواب عن هذه التساؤلات لا بد من البحث اولا عن هدف العقاب وغاياته .

فالسلطة التي تحكم المجتمع عليها حماية الحقوق والقيم التي تشكل حجر الزاوية في بناء وبقاء هذا المجتمع . وذلك يفرض وجود قوانين الزامية تنظم تصرفات الناس وعلاقاتهم وتفرض بالتالي معاقبة كل من يتجاوزها ويحاول القضاء عليها . فللعقاب هدف رئيسي هو حماية المجتمع عن طريق ارهاب الفرد وجعله عبرة للآخرين . ولكن حماية المجتمع هل تفرض سياسة العقاب هذه ام ان هناك وسائل اخرى ؟ وما هو دور الدولة في هذا المجال ؟

اما العقاب فهو تعبير عن سلطة الدولة التي بدلا من ان تعمل على تطوير الفرد وتساعده على القيام بدوره الصحيح ، تستأصله من مجتمعه وتحتقره باساليب بربرية وبدائية متناقضة مع علاقة المجتمع بالانسان خالق هذا المجتمع وركنه الاساسي .

من المتفق عليه ان قساوة العقاب قد تحمل تأثيرا رادعا ولكن دور الدولة يجب ان لا يقتصر على ردة الفعل هذه بل من الواجب ان ترافقها خطوات اجتماعية تحقق العدالة والمساواة . فاستقرار الانسان النفسي وصموده امام مغريات الاجرام الداخلية والخارجية يرتبط ارتباطا عضويا بنمط الحياة العام . وذلك يفرض ديمقراطية حقيقية في مختلف المؤسسات وتنظيما اقتصاديا يؤمن الاستقرار الاجتماعي عن طريق عدالة اجتماعية صحيحة . ولتحقيق هذه الغاية يفترض اتباع سياسة تسهل نمو الانسان وتطوره ليستطيع مجاراة نمو وتطور المجتمع الذي يعيش فيه . فلا بد اذن من حماية صحته الجسدية والنفسية وحماية الطفولة والعائلة بوجه عام ، بالقضاء على الامراض وخاصة النفسية منها ، وبمحاربة الامية والفقر والظلم الاجتماعي والتشتت العائلي والتسول والتشرد والبطالة ، وبتوجيه اجتماعي وثقافي وتدريب مهني ، وبايجاد بنية اقتصادية سليمة وتقييم صحيح للانسان يبعده عن الاستغلال .

ان الظلم الاجتماعي والاقتصادي وبشكل عام تركيب المجتمع وتطوره بالرغم من كونها عناصر اساسية في انتشار الاجرام ليست العناصر الوحيدة بل هناك دوافع واسباب اخرى ترتبط بالانانية وحب الذات والاثرة عند بعض الاشخاص الذين لا يمكن اصلاحهم الا عن طريق العقاب الرادع . وهنا تظهر الحاجة الى العقاب . فعندما يقوم المجتمع بتحمل مسؤولياته في القضاء على اسباب الاجرام يصبح كل مجرم مسؤولا شخصيا عن اعماله وبالتالي يصبح عقابه ضروريا لاصلاحه ولحماية المجتمع الذي يعيش فيه . وفي هذه الحالة فقط يعاقب المجرم لمسؤوليته الشخصية دون ان يتحمل مسؤولية ليست في الواقع سوى مسؤولية المجتمع الذي يعيش فيه .



□ مشكلة اجتماعية وسياسية اكثر مما هي مشكلة قانونية

بانتظار العدد المقبل

في كل بداية عصر ..

□ في ٣٠ حزيران ١٩٧١ توفي ثلاثة ابطال في مكان ما من الاتحاد السوفياتي . وقد تمر هذه الحادثة كمئات حوادث الموت والقتل التي تحصل يوميا في مكان ما من العالم لولا تجسيدها لفكرة وتبشيرها بعهد ، ولولا التكاليف الباهظة التي رافقت تنفيذ تلك الفكرة . فعالم انسان اليوم بفضل حروبه وويلاته ومآسيه تكاد تصبح انباء القتل والوفيات فيه شيئا عاديا مألوفا لا يأبه به احد .

واذا كان الموت يساوي بين الجميع على اساس ان وجود الشخص زال وانتهى ، فالحياة تفرق بين الاشخاص كل بقيمة عمله . فجورجي دوبروفولسكي وفلاديسلاف فولكوف وفكتور باتسايف شهداء لفكرة غزو الفضاء ، ذلك الحلم الذي غير نظرة الانسان وقلبها . فبدل التركيز على الارض واحداث ثورة «تحتية» اخذ الانسان يتطلع الى فوق غير آبه بان الثورة من فوق هي كتلك التي من تحت تكلف الانسان ماله وربما حياته .

لكن الامر ابعد مما يبدو للوهلة الاولى . ففكر الانسان اسرع من حاجاته . واحلامه اعظم من وجوده ، وآماله اكبر من واقعه . وهذا الصدام بين الفكر والحاجة وبين الحلم والوجود وبين الامل والواقع محرك التاريخ ان لم يكن صانعه .

فعصر النهضة الدينية كان له مفكروه وشهداؤه .

وعصر النهضة الفكرية كان له مفكروه وشهداؤه .

وعصر النهضة العلمية كان له مفكروه وشهداؤه .

وعصر النهضة الطبية كان له مفكروه وشهداؤه .

ولما كان كل هؤلاء يفكرون ويستشهدون كان السواد الاعظم من الناس يستغرب تفكيرهم ويستهجن استشهادهم .

لكننا اليوم نعيش على افكارهم ونقتات بها ولو انها تبدو قديمة في بعض الاحيان . ونذكر شهداءهم عندما نقرأ التاريخ .

واليوم ومع ان الكثيرين يتساءلون عن قيمة صرف ملايين الاموال والتسبب بازهاق ارواح من اجل غزو الفضاء والسيطرة عليه ، يبقى العلماء مفكرون والرواد يستشهدون لانهم مفكرو عصر جديد وشهداء ذلك التفكير .

ويبقى المتسائلون جمهور مشاهدين ، يتأثر احيانا ويهزأ احيانا لانه ملك لعصر غير عصر المفكرين والشهداء ولانهم سيجرون الى عصر غير عصرهم كما حدث ويحدث هذا في كل بداية عصر .

باسم أمين خليفة

العلاقات العربية - السوفياتية

أقوى من أن تشوهها المؤامرات الامبريالية والصهيونية

بقلم باسم الجسر

□□ الحدث عن العلاقات العربية - السوفياتية ، في هذه الفترة بالذات ، سهل ودقيق في آن واحد .

سهل ، اذا اراد المتحدث ان يكتفي بتعداد مجالات التعاون القائم حاليا بين الدول العربية والاتحاد السوفياتي ، على اكثر من صعيد ومستوى وفي اكثر من ميدان .

ودقيق اذا اراد المتحدث ان يقيم هذه العلاقات موضوعيا وان يرد على الحجج والتأويلات التي تلجأ اليها اعداء الاتحاد السوفياتي او اخصامه العقائديون ، وكذلك اعداء الشعوب العربية من امبرياليين وصهيونيين ، ورجعيين ، لافساد جو هذه العلاقات او لتحريف منطلقها ومجراها .

ثم ان دقة الحديث لا تنبع من الظروف الدولية الراهنة ، بل من طبيعة تلك العلاقات ومرتكزاتها الموضوعية بحد ذاتها . ذلك ان هذه العلاقات لا تقتصر على المعاهدات والاتفاقات السياسية والثقافية والاقتصادية المعقودة بين الاتحاد السوفياتي واكثر من دولة عربية ، بل تتعداها الى ما هو اشمل واعمق اي الى تأثير هذه العلاقات على السلام العالمي وحركة تحرير الشعوب ، كذلك الى تأثيرها على المصير العربي في صراعه ضد الصهيونية واسرائيل والامبريالية ، بل الى تأثيرها على الدور الذي يقوم به الاتحاد السوفياتي في عالم اليوم ، كرائد للثورة الاشتراكية من جهة ، وكدولة كبرى مسؤولة عن السلام في العالم من جهة ثانية .

من هنا كان لا بد ، للاحاطة بهذا الموضوع السهل والدقيق ومواجهته من زوايا ثلاث :

— زاوية اولى تتناول تاريخ العلاقات العقائدية بين الحركة الشيوعية والعالم العربي .

— وزاوية ثانية تتناول تاريخ العلاقات السياسية بين الاتحاد السوفياتي والدول العربية .

— وزاوية ثالثة تتناول موقف الاتحاد السوفياتي من الصراع العربي - الاسرائيلي .

ونسارع فنقول ان هذا الاستشراق الثلث الزوايا ، لا يعني انفصال الزوايا بعضها عن بعض ، لانه من غير السهل ولا الممكن فصل تاريخ الحركة الشيوعية عن تاريخ الاتحاد السوفياتي ، ولا فصل الصراع العربي - الاسرائيلي عن تطور سياسة الاتحاد السوفياتي نحو الدول والشعوب العربية ، او تطور مواقف هذه الاخيرة نحو الاتحاد السوفياتي . ولكن تتبع الاحداث من هذه الزوايا الثلاث يساعد ولا ريب على توضيح الصورة الشاملة وتقييم انعكاساتها على الواقع .

البحار الدافئة

يحلو لبعض الكتاب الغربيين ولا سيما المستشرقين ، واخيرا ، لخدمة السياسة الصهيونية والدفاع عن المصالح الامبريالية.. يحلو لهم في حديثهم عن العلاقات العربية - السوفياتية او بالاحرى في تحريضهم ضد التعاون العربي السوفياتي ، ان يشيروا الى حلم القياصرة الروس بالبحار الدافئة ، والشرق ، ملمحين بذلك الى ان وجود الاسطول السوفياتي في البحر المتوسط والتعاون العربي السوفياتي والمساعدات العسكرية ليست سوى امتداد لتلك السياسة الروسية القيصرية ، النابعة من استراتيجية قومية دفاعية .

وبالرغم من ان مثل هذه المزاعم لا يحتاج الى دحض لان بين روسيا القيصرية والاتحاد السوفياتي من الفروقات ما لا يجيز المقارنة او الحديث عن استراتيجية واحدة مشتركة بين امبراطورية تيوقراطية - اقطاعية في القرن التاسع عشر ودولة اشتراكية ثورية في نهاية القرن العشرين .. وبالرغم من ذلك ، فان ثمة حقائق لا يمكن انكارها ، وان كانت تأويلاتها متباينة ، ومنها ان العامل الجغرافي لعب في الماضي ولا يزال يلعب الان ، دورا هاما في مجرى العلاقات بين الدولة التي حكمت او تحكم الاراضي التي تدعى اليوم بالاتحاد السوفياتي ، وبين الدول التي حكمت او تحكم ، اليوم ، الاراضي الواقعة في جنوبها ، وتدخل فيها الاراضي التي تقطنها ، اليوم ، الشعوب العربية .

فيوم كانت الدولة الاوروبية ، في القرن التاسع عشر ، عاملة على تصفية تركة "الرجل المريض" ، وكانت بريطانيا حريصة على ابقاء التوازن الاوروبي ، و[illegible]

امتداد الامبراطورية القيصرية او تفوق فرنسا عليها ، كان حلم القياصرة الروس فك الحصار البحري عن بلادهم والتذرع برعايتهم للكنيسة الارثوذكسية ، للتدخل في شؤون الامبراطورية العثمانية (حماية الارثوذكس في سوريا ولبنان وفلسطين) .

ان استراتيجية البحار الدافئة والمضائق وحماية الاقليات ، التي كانت تشكل مرتكزات الستراتيجية الروسية في القرن التاسع عشر ومنطلقات سياستها في الشرق الاوسط ، لم تعد اليوم ، تشكل الا جزءا بسيطا وثانويا في استراتيجية الاتحاد السوفياتي . فبصرف النظر عن العامل الجيوبوليتيكي - وهو عامل متضائل الاهمية بعد تقدم التكنولوجيا العسكرية (الصواريخ ، الغواصات ، القوة النووية) ، لا يوجد بين مقومات العلاقات العربية - السوفياتية الراهنة عوامل مشتركة بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

وهذه الحقيقة البديهية ، ما كانت بحاجة لان تقال ، لولا تركيز الاوساط الامبريالية والصهيونية عليها في الاونة الاخيرة ومحاولة ابرازها للتشويش على العلاقات العربية السوفياتية وتحريض اوروبا ضد الاتحاد السوفياتي والدول العربية .

تسرب المبادىء الاشتراكية

اما الحقيقة الثانية فهي ان العلاقات العربية السوفياتية قد مرت باكثر من مرحلة :

فثمة مرحلة اولى تمتد من قيام الدولة السوفياتية ونجاح الثورة الماركسية - اللينينية ، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومرحلة ثانية تمتد من نهاية الحرب حتى اواسط الخمسينات ، ومرحلة ثالثة هي التي نعيشها اليوم .

وخلال هذه المراحل الثلاث تبدلت منطلقات وابعاد هذه العلاقات تبعا لتبدل معطيات الواقع والظروف الموضوعية التي كانت تمر بها الشعوب العربية والاتحاد السوفياتي .

فعلى الصعيد العقائدي ، امتازت مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، بتسرب المبادىء الاشتراكية الى الشرق الاوسط . ففي تلك الفترة التي امتدت ما بين ١٩٢٠ و١٩٤٠ انشئت معظم الاحزاب والحركات الشيوعية والاشتراكية في لبنان وسوريا والعراق وفلسطين ومصر ، وكانت هذه الاحزاب تقوم بتشجيع من الكومنترن

«كان لا بد للحركة الوطنية العربية من ان تثور ، بعد التغيرات في البنيات الاجتماعية والاقتصادية وبروز الخطر الصهيوني ، وتلتقي بالاشتراكية والمبادىء الماركسية...»

□ عبد الناصر □

وعلى اتصال به .

وكان ذلك امرا طبيعيا منسجما مع توصيات لينين بالاهتمام بالشرق الاوسط والشعوب المستعمرة ومع مقررات وتوصيات مؤتمر باكو واجتماع الكومنترن عام ١٩٢٨ ، وهذه الاحزاب الشيوعية قامت سرا في ظل الانتدابات الفرنسية والبريطانية على الشرق والعالم العربي . وكانت بحكم مبادئها الماركسية - اللينينية وطنية الاتجاه ، اي تستهدف الاستقلال ومقاومة الحكم الاجنبي .

فترة الحرب وما بعد الحرب

لقد كانت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول كبرى في تاريخ الاتحاد السوفياتي وتاريخ الشعوب والدول العربية ، فالاتحاد السوفياتي خرج من هذه الحرب دولة عالمية كبرى كما خرجت الشعوب العربية منها دولا مستقلة او في طريقها الى استكمال استقلالاتها ، وبمقدار ما ادى بروز الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى وانتصارها على المانيا النازية ، الى تغييرات اساسية في ميزان القوى في العالم واتساع رقعة العالم الاشتراكي ، بمقدار ما حمل ذلك الاتحاد السوفياتي مسؤولية في المحافظة على السلام العالمي .

وبمقدار ما ادى تحرر الشعوب العربية وقيام دول عربية جديدة ومستقلة الى بروز الواقع العربي على خريطة العالم ، بمقدار ما تحملت الدول من نتائج الصراع الدولي بين الشرق والغرب ولا سيما عندما اقترنت فترة ما بعد الحرب بالصراع المصيري المفتوح بين تلك الشعوب وبين الصهيونية المجسمة في اسرائيل .

ولا بد قبل الحديث عن فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، من توقف عند ظاهرة اغفلها المؤرخون كثيرا ولكنها ، في نظرنا ، ذات اهمية بالنسبة للمناخ البسيكولوجي الذي سيطر بعد الحرب مباشرة بين الحركة الوطنية العربية والاتحاد السوفياتي . وهي ظاهرة انجذاب الحركة الوطنية العربية عفويا وعاطفيا نحو المحور واستفادة الحركة الصهيونية العالمية من هذه الصدفة التاريخية لاقامة دولة اسرائيل .

فالحركات الوطنية في لبنان وسوريا والعراق وفلسطين ومصر كانت تركز نضالها ضد الاستعمار ولا سيما البريطاني الذي نكل بوعوده في مساعدة العرب على الاستقلال والوحدة ، والذي اعطى وعد بلفور وساعد على تسرب وانتشار الحركة الصهيونية في فلسطين ، وانطلاقا من مبدأ «عدو عدوي صديقي» وايمانا بأن الحركة الصهيونية مرتبطة عضويا بالغرب ولا سيما البريطاني المستعمر ، فقد كان من الطبيعي ان تنجذب الحركة الوطنية العربية ، وهي في معظمها قائمة على الطبقة البورجوازية الكبرى والوسطى ، نحو المانيا ، بصرف النظر عن المبادىء النازية ، متشجعة بعاملين : عامل العداء الالماني لليهودية وبالتالي للصهيونية وعامل العداء الالماني لبريطانيا المستعمرة .

١٩٤٥ — ١٩٥٥

لقد برز الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية ، كرائد للثورة الماركسية - اللينينية وكرئيس لكتلة الدول الاوروبية الاشتراكية ، وكاحد الاعضاء الاربعة الدائمين في مجلس الامن والراسمين خريطة عالم ما بعد الحرب .

وبديهي ان تنبع السياسة السوفياتية من هذه المعطيات العقائدية وان تتأثر ، في الوقت نفسه ، بالعوامل الجديدة التي برزت بعد الحرب واهمها دخول الولايات المتحدة الاميركية الحلبة الدولية كاقوى قوة اقتصادية وعسكرية في العالم ، وكمرشحة لخلافة الدول الاوروبية في استعمار او استغلال شعوب العالم الثالث .

ولا ريب في ان اتفاقات يالطا وبوتسدام قد الزمت الاتحاد السوفياتي ، لا سيما في السنوات الخمس الاولى التي تلت الحرب ، بمواقف لم تكن دائما منسجمة مع مبادئه الثورية الاشتراكية . كما ان مرحلة اعادة بناء الاتحاد السوفياتي الذي دمرته الحرب وتدعيم الانظمة الاشتراكية ، التي قامت في اوروبا الشرقية ، لم تكن تسمح للاتحاد السوفياتي بالمزيد من الاهتمام في شؤون الشرق الاوسط ومناوأة الدول الغربية فيه ، بل ان وقوع معظم الشعوب او الدول العربية تحت السيطرة او الوصاية او النفوذ الغربي ، وتلاقي الانظمة العربية مع المصالح الغربية ، لم يكن يشجع الاتحاد السوفياتي على الانفتاح كليا على القضية العربية ولا سيما في صراعها ضد الصهيونية .. كما ان الاحزاب الشيوعية العربية ، بالرغم من بداية بروزها ، لم تكن تملك القدرة على التحرك .

وفي تلك الفترة ، وقعت ، لسوء الحظ ، والبعض يقول لحسنه ، كارثة فلسطين . ووقف الاتحاد السوفياتي فيها الى جانب اسرائيل ، مقترعا على التقسيم ثم معترفا بالدولة ثم مساعدا لها ، بالاسلحة التشيكية ، لترسيخ اقدامها في فلسطين .

وكانت تلك غلطة عقائدية وسياسية ، استراتيجية وتكتيكية ، تفسرها تلك الاسباب والاجواء التي تحدثنا عنها ولكنها لا تبررها .

١٩٥٤ — ١٩٦٧

لقد كانت صفقة الاسلحة التشيكية مع مصر ثم مع سوريا ، بداية الانفتاح الرسمي العربي على الاتحاد السوفياتي . فالحركة الوطنية والتيار الثوري العربيان كانا قد تبلورا خلال الاعوام الستة او السبعة التي تلت كارثة ١٩٤٨ ، عن بروز قيادة جمال عبد الناصر في مصر وحكم تقدمي وطني في سوريا . ولقد اصطدمت هذه التيارات الوطنية التقدمية والتحررية بالامبريالية الاميركية الجديدة التي وان لم تكن حتى تلك السنة ، قد كشفت عن ضلوعها مع الصهيونية واسرائيل ، كانت تحاول فرض مصير معين على الشعوب العربية نابع من مصلحتها الستراتيجية فحسب وهازئا بكل امانيها ومصالحها .. وكلنا يذكر تلك الايام التي هبت فيها الشعوب العربية ترفض الاحلاف العسكرية وتمزق المعاهدات . ولا بد هنا من الاشارة ، ولو سريعا ، الى ان الاتحاد السوفياتي كان قد ادرك لا سيما بعد تجربة مصدق في ايران ، ان التحول الاشتراكي او نجاح الثورة في دول العالم الثالث ، لا بد ان يقترن بالنضال الوطني ضد الاستعمار وان الظروف الموضوعية لثورة اشتراكية او بروليتارية ليست متوفرة بعد في هذه المنطقة من العالم ، كما كان الدور المزدوج الذي تقوم به الصهيونية العالمية قد بدأ يتكشف لاعين الكثيرين من المسؤولين السوفيات .

من هنا كان اللقاء السوفياتي المصري والسوري ، على صعيد بيع السلاح والمساعدات الاقتصادية بداية خطبة سوفياتية - عربية ، لم تلبث ان تحولت بفضل الاحداث وتبلور الاهداف المشتركة ، الى زواج .

وذلك دون ان تدخل جيوش سوفياتية الى بلد عربي واحد .

ودون ان تعقد اي معاهدة (بصرف النظر عن الاخيرة) .

ودون ان يتحول اي بلد عربي الى بلد شيوعي .

بل دون ان تحدث ثورة اشتراكية بقيادة حزب شيوعي عربي .

ولكن كيف حدث ذلك وباي المراحل مر هذا اللقاء التاريخي بين العرب والاتحاد السوفياتي ، بل هذا التحالف بين التيار القومي الاشتراكي التحرري العربي وبين الحزب الشيوعي السوفياتي ؟

لقد نمت الصداقة السوفياتية - العربية وترعرعت واثمرت ظاهريا ، اي سياسيا بفضل عوامل عديدة :

اولا : اخطاء الغرب - ولا سيما اميركا - الفادحة في تعاملها مع العرب ، دولا وحكومات وشعوبا .

ثانيا : مقدرة المسؤولين السوفيات في اغتنام كل الفرص لتعزيز صداقتهم مع العرب وتدعيم قواعدها .

ثالثا : تحول اسرائيل تدريجيا من وطن عنصري ديني لليهود الى دولة عسكرية حليفة للاستعمار بل الى قاعدة اميركية لضرب حركات التحرر في العالم العربي والعالم الثالث .

رابعا : قيادة الرئيس العظيم الراحل جمال عبد الناصر لحركة الصمود والتحرر العربية ، ومقدرته على ملاءمة معطيات وابعاد التعاون العربي السوفياتي مع معطيات وابعاد الصراع الدولي .

خامسا : صدق الاتحاد السوفياتي واقتناعه بضرورة دعم حركة التحرر العربية في نضالها ضد التحالف الامبريالي الصهيوني ، وقبوله بان يكون التعاون العربي - السوفياتي قائما على اسس جديدة في العلاقات الدولية ، اي عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول المساعدة .

ولكن اذا كانت تلك هي الاسباب الظاهرة التي ادت الى ازدهار العلاقات العربية السوفياتية ، فان الحقيقة تكمن عند مستوى آخر من التحليل والنظرة العلمية .

ذلك ان الشعوب العربية مدعوة غريزيا الى التعاون مع كل من تتنافى مصلحته مع مصلحة الخطر الاول والاكبر الذي يتهددها وهو الخطر الصهيوني الاسرائيلي الاستعماري الاستيطاني الذي يهدد الوجود العربي برمته . ولما كانت الصهيونية قد اتخذت من الراسمالية الغربية والاميركية بنوع خاص مستودعا لها ومن الامبريالية حليفا طبيعيا لها ، فان اللقاء العربي السوفياتي كان على هذا الصعيد ، امرا محتوما .

ثم ان الحركة الوطنية العربية كان لا بد لها ، مع اطراد التغييرات في البنيات الاجتماعية والاقتصادية العربية ، من ان تثور وان تلتقي بالاشتراكية وبالمبادىء الماركسية لا سيما وان التحديات الاسرائيلية القومية والعسكرية من جهة والتحديات الاستغلالية الغربية من جهة ثانية ، لم تترك لها مجالا للتردد لا سيما وان الاحزاب الشيوعية العربية بعد عام ١٩٥٤ ، تحررت من عقدتها تجاه الصف القومي او الوطني ، وان الاتحاد السوفياتي الذي يشكل قاعدة الالتزام بحركة التحرر العالمية ذات الابعاد الاشتراكية ، كان حريصا على اتباع اسلوب جديد في التعامل والتعاون مع الحركات الوطنية في العالم الثالث ، الامر الذي ساعد على التقاء الحركة الوطنية والقومية العربية بالاشتراكية العالمية ، والتقاء النضال ضد اسرائيل بالنضال ضد الاستعمار والامبريالية بشكل عفوي وطبيعي . (مؤتمر باندونغ) .

بالطبع شهر العسل العربي السوفياتي الذي بدأ عام ١٩٥٥ تقريبا والذي لا يزال اليوم يمر في مرحلة ايجابية رائعة ، لم يخل من بعض الغيوم والازمات العابرة .

فبعد ثورة العراق والحكم القاسمي ، مرت في سماء العلاقات العقائدية المصرية - السوفياتية غيمة .

كذلك بعد قيام الوحدة المصرية - السورية ، وموقف الحزب الشيوعي السوري منها ، واضطهاد الشيوعيين في مصر وسوريا ، مرت غيمة اخرى .

ثم ان اشتراك الرئيس عبد الناصر مع الرئيسين نهرو وتيتو ، في الدعوة الى قيام كتلة حيادية ثالثة ، وان لم تتخذ موسكو منه موقفا معاديا ، لم يكن ايضا من الامور التي تنظر اليها موسكو بعين الترحيب او الرضى .

والحقيقة ان العلاقات العربية - السوفياتية تعرضت ما بين عامي ١٩٥٥ و١٩٦٧ ، الى اكثر من مؤامرة وتعكير واحيانا الى نكسات صغيرة .

المرحلة الاخيرة من العلاقات

واسباب ذلك لا تحتاج الى كثير من الشرح . فالناصرية ، كسياسة وكتيار وجداني متعلق بشخص عبد الناصر ، وكمحتوى عقائدي اجتماعي اقتصادي او فلسفي يختلف بالطبع ، من الماركسية اللينينية . وبالرغم من قبول الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية العربية بالتعاون مع القوى والانظمة التقدمية القومية فان مجالات الخلاف العقائدي تبقى واردة .

ثم ان الصراع العربي - الاسرائيلي ، بالرغم من اتصال معطياته وابعاده بمعطيات وابعاد الصراع السوفياتي - الاميركي من جهة ، وبنضال الشعوب ضد الامبريالية من جهة ثانية ، فان درجة الخطر الاسرائيلي بالنسبة للعرب تختلف عن درجة خطره بالنسبة للاتحاد السوفياتي ، كما ان حدود مسؤولية الاتحاد السوفياتي بالنسبة للسلام العالمي لا ينطبق على حدود مسؤولية الدول العربية في تحرير فلسطين .

● — « يحلو لبعض الكتاب المسخرين لخدمة المصالح الصهيونية والامبريالية ان يشيروا الى حلم القياصرة الروس بالبحار الدافئة والشرق ملمحين الى وجود الاسطول السوفياتي في البحر المتوسط والتعاون مع العرب ... »



□ لينين □

ومن الطبيعي عندما يكون هدف العرب الاول والمباشر هو تحرير الاراضي العربية المغتصبة ويكون هدف الاتحاد السوفياتي المحافظة على السلام العالمي ، فان اللقاء على مستوى التكتيك ليس ممكنا دائما . اما على مستوى الستراتيجية كخطوة اولى نحو تصفية الصهيونية ، تلتقي تماما مع مصلحة الاتحاد السوفياتي والاشتراكية العالمية ، التي ترى في تصفية الصهيونية جزءا من تصفية الاستعمار والامبريالية .

لذلك فان العلاقات السوفياتية العربية قد صمدت لكل الخلافات والمؤامرات وترعرعت ما بين عامي ١٩٥٥ و١٩٦٧ ، واعطت ثمارا عديدة .

السد العالي ، سد الفرات ، المساعدات الاقتصادية والفنية والثقافية لمعظم الدول العربية ، تسليح الجيوش العربية ، انذار بولغانين عام ١٩٥٦ ، المساعدات المستمرة لمصر ، مساندة كل حركات التحرر في العالم العربي ، (اليمن ، الجزائر) .

ان ما جنته الشعوب العربية من صداقتها مع الاتحاد السوفياتي ، يفوق ما جناه الاتحاد السوفياتي من الدول العربية ، لان الاتحاد السوفياتي كان ولا يزال في موقع العطاء بينما نحن لا نزال في موقع الدفاع عن النفس والحاجة الى المساعدة .

لقد كسب الاتحاد السوفياتي صداقة الشعوب العربية وتقديرها ، كما انفتح العالم العربي على الاشتراكية بعد ان ظل مغلقا عليها نصف قرن ، واصبحت الاسواق العربية تتداول البضائع السوفياتية والطالب عربي يتلقون العلم في موسكو . ولكن هذا التوظيف للمستقبل ، اذا جاز التعبير ، لا يوازي في الوقت الحاضر ، التوظيفات الهائلة التي قام بها الاتحاد السوفياتي في الدول العربية ، تشجيعا له في معركة تحرره وصموده .

١٩٦٧ — ١٩٧١

ولا بد قبل اختتام حديثنا من التحدث عن هذه المرحلة الاخيرة من العلاقات العربية السوفياتية اي تلك التي بدأت بعد حرب ١٩٦٧ .

لقد كانت حرب ١٩٦٧ نقطة التحول الثالثة الهامة في مجرى تطور العلاقات العربية السوفياتية !

فالمؤامرة الاميركية - الاسرائيلية لضرب نظام القائد الراحل جمال عبد الناصر والانظمة العربية التقدمية ، كانت تستهدف ايضا تصفية ما يسمونه النفوذ والمصالح السوفياتية الموظفة في العالم العربي .

ولقد لاحظنا انه بعد الانتصار الاسرائيلي العسكري السريع ، حيث الاقلام المأجورة ومراكز الدعاية الاميركية الاسرائيلية المشتركة ، تهاجم الاتحاد السوفياتي وتتهمه اما بعدم تنبيه العرب الى هذه المؤامرة واما بعدم مساعدتهم عسكريا على اسرائيل .

وهذا التهجم كان الفصل الثاني من مؤامرة عدوان ٥ حزيران التي كانت اسرائيل مع المخابرات الاميركية تعد لها منذ سنوات ، والتي استعمل فيها الرئيس جونسون من قبل المخابرات الاميركية استعمالا لا يليق برئيس دولة كبرى ، كي يلف الاتحاد السوفياتي ومصر بتلك المؤامرة .

وعلى صعيد عاطفي وانفعالي كان من حق الشعوب العربية ان تعتب او ان تتساءل ،

ولكن ، عمليا ، لم يكن بامكان الاتحاد السوفياتي ان يفعل شيئا كبيرا لمنع العدوان الغادر . فسرعة المعركة من جهة وخداع الرئيس جونسون من جهة ثانية ، والاخطاء العسكرية العربية الفادحة من جهة ثالثة لم تترك للاتحاد السوفياتي سوى فرصة تجميد العدوان في حدود وقف اطلاق النار ، وتعطيل مفاعيله بارسال كل المساعدات العسكرية والاقتصادية وتقديم كل الدعم السياسي ، دوليا ، لمنع الانظمة العربية التقدمية من السقوط .

دعم بلا حدود

لقد قطع الاتحاد السوفياتي علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل ، وكذلك فعلت دول اشتراكية عديدة . كما ساعد الدول العربية ولا سيما مصر وسوريا على استعادة قوتها الدفاعية ، كذلك قدم الاتحاد السوفياتي من المساعدات الاقتصادية والمالية التي دعمت الصمود . اما في الامم المتحدة وعلى الصعيد السياسي والدبلوماسي فلا يزال الاتحاد السوفياتي داعما للحق العربي وممارسا كل الوسائل للضغط على اسرائيل من اجل الانسحاب .

ان الدعم السوفياتي للصمود العربي بعد ١٩٦٧ ، كان بغير حدود اما شروطه فلم تكن في الواقع شروطا بمقدار ما كانت خدمة للسلام العالمي .

لقد حالت المساعدة السوفياتية الاقتصادية والعسكرية دون انهيار الانظمة العربية التقدمية ، كما ادت الى صمود الجبهة المصرية امام الغارات الاسرائيلية بالطائرات والقنابل الاميركية عام ١٩٧٠ .

ان العلاقات العربية السوفياتية تمتد اليوم عمقا في وجدان الشعوب العربية وتتجلى في المعاهدة المصرية السوفياتية التي تتوج مرحلة من التعاون الصادق استمر خمسة عشر عاما بين عاصمتين احداهما هي عاصمة الاشتراكية في العالم ، والثانية هي عاصمة التحرر القومي في العالم العربي .

كما تتجلى في اكثر من ٢٠٠ مشروع ضخم يشرف او يساعد الاتحاد السوفياتي على انجازه في الدول العربية . و٧٣ مركزا للتدريب والدروس ، فالسد العالي في مصر و٢٤ مؤسسة صناعية كبرى ومشاريع لاستخراج النفط والكهربة والفولاذ ، وسد الفرات في سوريا ، الذي هو جزء من اتفاق اقتصادي شامل بين البلدين ، و٣٠ مؤسسة صناعية وكهربائية في العراق وتصاميم ٢١ سد في الجزائر ، واتفاق اقتصادي وقع عام ١٩٦٩ مع المغرب وآخر مع تونس وليبيا والسودان واليمن ، حيث قام الاتحاد السوفياتي ببناء ميناء الحديدة ومصنع للاسمنت ، وفي لبنان والكويت والاردن ، لقد كان عدد الطلاب العرب في موسكو لا يتجاوز ١ بالمائة منذ خمس عشرة سنة اما اليوم فهنالك ١٢ الف طالب من الدول النامية يدرسون في موسكو من بينهم عدة الاف من العرب . وفي العالم العربي الان يعمل الخبراء السوفيات في تنمية العالم العربي .

ان العلاقات العربية السوفياتية تبدو اليوم ، في اوج عمقها وازدهارها وتفاعلها الخصب لمصلحة الشعوب العربية ، دفاعيا واقتصاديا وسياسيا . وهذا الامر يقلق اسرائيل والصهيونية العالمية كما يقلق الامبريالية وشركات النفط العالمية الكبرى ، ولذلك فان المؤامرات والمحاولات لضرب الصداقة العربية السوفياتية قائمة ومستمرة . وهذه المؤامرات تستهدف اغراضا معينة وتتوسل نقاطا معينة لتحقيق غاياتها . وهذه النقاط هي مكامن للتناقضات في العلاقات العربية السوفياتية ، واهمها :

١ — ان الاتحاد السوفياتي يؤيد نضال شعب فلسطين وحقوقه المشروعة ولكنه يلتزم من المقاومة الفلسطينية موقفا معينا ، لا ترضى عنه الاوساط المتطرفة يساريا في المقاومة .

٢ — ان الاتحاد السوفياتي يؤيد المساعي السلمية لازالة آثار العدوان وتنفيذ قرار مجلس الامن .. بينما يجنح اليسار العربي الجديد وبعض الانظمة العربية اليسارية الى رفض كل مسعى سلمي .

٣ — ان الاتحاد السوفياتي يدعم الصمود العربي العسكري ولكنه يلتزم دوليا بالمحافظة على السلام في الشرق الاوسط .

(البقية في الصفحة ١١)

- موضوع الغلاف -

"ارتريا سودانية"..

□□ عندما يصل صحفي عربي او اجنبي الى مدينة القضارف في السودان المشهورة بأراضيها الشاسعة الخصبة سرعان ما يتلاحق في ذهنه عدة تحقيقات :

اولها زيارة قرى اللاجئين الارتريين ، ومنجزات العون الذاتي ومشروع سمسم وحديقة الدندر وغيرها من المشاريع العمرانية القائمة على ارض السودان في هذه الايام .

والحديث عن القضارف طويل ، طويل ، والسودان بلد خصب لا بارضه وانما بالمواضيع والدراسات التي يمكن ان تجري على ارضه سواء اكانت هذه الدراسات صحفية او احصائية او اجتماعية نظرا لما يمثله نسق حياة هذا الشعب الطيب من الظواهر الاجتماعية التي لم يقم الباحثون حتى الان بدراستها دراسة كاملة .

وعلى العموم فان موضوع بحثنا اليوم لا يتعلق بظواهر السودان الفذة بل بزيارة قرى اللاجئين الارتريين .

ولم يكن وصولي الى قرى اللاجئين الارتريين بالامر اليسير نظرا لما تعرضت له من مشقات الطريق والعطش والحسر عبر قرى يبعد من مدينة القضارف ٩٠ كيلو مترا ولا يمكن لسيارة ان تصل اليها باستثناء سيارات اللاندروفر .

في السابعة صباحا تركنا مكتب الارشاد القومي في القضارف بسيارة هيئة ميثاء اللاجئين ، وكان من المفروض ان نصل قرية قلع النحل ، مركز ضابط امور اللاجئين ومكاتب وكالة الغوث ، في الساعة التاسعة ، لكن موعد وصولنا تأخر الى الساعة الثانية عشرة .

لقد ضل السائق الطريق وسارينا في طريق زراعي بين شجيرات الذرة اليابسة واشجار الصمغ العربي مدة ساعتين من الزمن ، واخيرا استطعنا ان نسلك طريق « الجوري » الزراعية ومنها الى قلع النحل .

في الطريق الى قلع النحل كان المرافق السيد علي الكردي يتسائل عن الغاية من مقابلة اللاجئين وكل ما استطعت ان ادركه مع الحر والعطش ان الحكومة السودانية لا تريد الدخول في عمليات اخذ ورد مع الحكومة ...

□ مستشفى ام سقطه □

□ مدرسة للبنات في قرية « ام سقطه » □

ويعد التطمينات التي قدمتها للسيد محمد الماصي المسؤول عن التعليم في قرى اللاجئين بمركز الامم المتحدة ، وللسيد علي الكردي ، بدأت رحلتنا من هناك الى القرى لرؤية المشردين الذين كتب عليهم الاستعمار الاثيوبي ان يعيشوا خارج بلدهم ليحل بهم ما حل بالشعب الفلسطيني .

اربع قبائل

قبل التحدث عن القرى يجب الا يغيب عن اذهاننا ان النازحين في هذه القرى ينتمون الى اربع قبائل هي : « الماريا » « بازية » « بني عامر » « ساورتا » ، وكذلك ان عدد الارتريين في القرى الثلاث « ام بروش » « ام سقطه » « سالمين » « ابو النحل » القرية الانتقالية يبلغ سبعة عشر الف نسمة ، الا ان ذلك لا يعني ان هذا العدد هو مجموع اللاجئين الارتريين في السودان فقط بل ان هناك الالاف العديدة الموجودة في « كسلا » وفي « بورت سودان » وفي منطقة « القضارف » وفي غيرها .

وفي تحقيق سابق ذكرنا ان عدد اللاجئين حسب احصائيات كانت قد نقلتها الصحف ووكالات الانباء التي في السودان ...

يمارس اعمالا هي دون المتوسطة .

ان العلاقة بين الامتداد الطبيعي السوداني الارتري علاقة روحية ، سواء اكان ذلك بالنسبة للمسيحيين او المسلمين ، ام بالنسبة للطقوس الدينية التي تمارسها القبائل .

وفي السودان والصومال وبلدان الخليج وافريقيا الشمالية والغربية ، بل حتى في جميع بلدان العالم ثمة مهاجر ارتري يترقب ساعة التحرير ليعود بما جمعه الى الارض الخيرة الغنية بكل شيء .

وفي حديث لي من الرحلة مع الامين العام لجبهة تحرير ارتريا السيد عثمان صالح سبي قال : ان مشاكلنا الداخلية والخارجية قبل الثورة وبعدها لم يكن منبعها الاستعمار فقط ، بل التناحرات القبلية التي يغذيها الاستعمار ويستغلها الجهلة للتطاحن في ما بينهم .

ومن خلال هذه الثغرة كان الاستعمار يجد المجال للانقضاض على شعبنا المعروف بمقاومته للاستعمار واستبساله المستميت في سبيل وحدة الوطن والتراب والشعب .

لهذا نجد ان الشباب ...

المرتفعات بايدي ابناء الساحل وان لم يذق ابن المرتفعات شظف عيش ابن صحراء دنكاليا .

ان تربتنا تربة غنية وان شعبنا شعب مقدام . فعلينا ان نحافظ على هذه التربة وعلى وحدة الشعب .

□ ... في قرية ام سقطه □

□ ... ابو النحل « □

قرية الشهداء

وصلت قرية ام بروش في الوقت الذي كانت فيه الاعاشة توزع على اللاجئين فسررت كثيرا لان هناك معلومات كنت قد وقفت عليها من بؤس اللاجئين ومن التلاعب في كميات المواد الغذائية التي توزع عليهم .

وعندما سالت عن هذه الكميات ونوعيتها عرفت انها الاتية :

- ٩٠٠ غرام من الزيت .
- ٢٥٠ غراما من العدس كل شهرين .
- ١٥٠ غراما من الملح .
- ٩٠٠ غرام من الزبيب .
- ٦٠٠ غرام من الحليب .
- ١٢ كلغ من الذرة .
- ١ قطعة صابون .

هذا هو المعدل الغذائي للفرد اللاجيء ، ولكن هل توزع هذه الكميات على اللاجئين بانتظام ؟

هذا ما يجيب عليه احد شيوخ « ام سقطه » بقوله : من المعروف ان الكمية المقررة للفرد الواحد من الزيت هي ٩٠٠ غرام ولكننا لا نرى الزيت شهريا بل كل شهرين او بل ثلاثة اشهر . اما الحليب فاننا لم نذقه منذ الشهر العاشر من عام ١٩٧٠ م « اي منذ سبعة اشهر من تاريخ اجراء هذا الحديث » ، والصابون يوزع علينا كل ثلاثة اشهر ، ...

ان الحديث عن اللاجئين وعن اغذيتهم قد يطول وقد تستبد بي الناحية الانسانية فتنسيني السبب الاساسي الذي من اجله اكتب .

تركت خيمة توزيع الاعاشة الى مدرسة البنات والبنين في ام بروش ، وهناك التقيت بطبيب الوحدة الدكتور محمد احمد وسالته عن الامراض المنتشرة بين النازحين فقال :

في بداية التوطين كانت الامراض النفسية والهضمية والجلدية والعيون والاذن منتشرة بين النازحين الا اننا استطعنا حصرها ، وقد اقتصرت حاليا على امراض الاذن والعيون .

وعلى العموم فان قرية ام بروش او الشهداء هي قرية نموذجية يبلغ عدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة موزعين في « القطيات » التي بنتها لهم الحكومة السودانية بمساعدة وكالة غوث اللاجئين .

الهيكل التعليمي

وعند زيارة قرى اللاجئين يحرص السيد محمد الماصي المسؤول السوداني عن تدريب اللاجئين على ان يحيط الزائر بكل ما تم في مجال التعليم ، ولهذا فقد داب على ان يجمعني بالاساتذة والطلاب في مدارس القرى الثلاث .

ومما قاله لي السيد الماصي : تضم هذه المدارس ثلاثة اساتذة ارتريين بالرغم من اصرار وكالة الغوث على ان يكون الاساتذة في هذه المدارس ، والموظفون ايضا ، من السودانيين فقط ، الا اننا نحاول استيعاب اكبر عدد ممكن من الارتريين حتى نفسح المجال امامهم في كسب لقمة العيش والخبرات الجديدة .

اما الاساتذة الارتريون الثلاثة فقد كانوا اساتذة في مناطقهم سابقا ، وبعد النزوح ...

...اصمة الهم والأمل

□ الشيخ ابراهيم ادريس □

□ الشيخ عمر عثمان نسور □

ويتابع السيد الماصي كلامه عن السلك التعليمي فيقول : وبالرغم من الحاجة الماسة في القرى السودانية للمدرسين والمدرسات ، فان الحكومة السودانية خدمة منها للاخوان الارتريين انتدبت المدرسين والمدرسات للعمل في مدارس اللاجئين في وقت تشكو فيه القرى القريبة من قرى اللاجئين من عدم توفر المدرسين ، الا ان عدد الطلاب في هذه المدارس قليل اذا ما قيس بالنسبة لعدد السكان ، اذ ان عدد الطالبات في مدرسة الاناث يبلغ ٦٠ طالبة اما الحال فهي مختلفة في مدارس الذكور ، اذ ان هناك فصلين : الفصل الاول يضم ٦٠ طالبا والفصل الثاني يضم ٢٦ طالبا ، وهؤلاء من الطلبة الذين استطاعوا الدراسة في « كسلا » او في « بورت سودان » عند النزوح .

وعندما نتحدث عن الهيكل التعليمي والمدارس ، فيجب عدم اغفال الجهود التي بذلها السيد علي برهتو مدير مكتب اللاجئين مع وزارة التربية في افتتاح فصل في قرية « ام سقطه » يشرف عليه اساتذة ارتريون متبرعون على نفقة مكتب اللاجئين . وكان افتتاح هذا الفصل من قبل المكتب شعورا بالمسؤولية تجاه الحرمان الذي يلاقيه ابناء اللاجئين . والاهمال في هذا المجال لا يقع على عاتق الحكومة السودانية بل على عاتق وكالة غوث اللاجئين التي لم توفر المدارس الكافية لاستيعاب جميع الاطفال المؤهلين للدراسة .

وسالت المدرسة حواء عبد الرحيم محمود عن الصعوبات التي واجهتها مع اللاجئات الصغيرات فقالت : ليس هناك شك في وجود بعض الصعوبات التي كنت اعرف انني مقدمة عليها سلفا ، فلو حاولنا المقارنة بين هؤلاء الطالبات والرابهن من السودانيات لتبين لنا ما ياتي :

١ ـ صعوبة في نطق الاحرف العربية .
٢ ـ شرود بعض الطالبات اليتيمات .
٣ ـ اعتماد اللغة التجرية كلغة اساسية بين اللاجئات .
٤ ـ عدم معرفة الطالبات للنظام. جميع هذه العوامل بالاضافة الى عامل التشرد لعبت دورها في تكوين هذه الصعوبات التي نقول حتى الان اننا ذللنا معظمها .

ابو النحل

وبعد زيارة المعالم الرسمية في قرية ام بروش سرنا باتجاه قريتي « ادنفراي » و « جبل الزرزور » اللتين يجري فيهما العمل بسرعة مذهلة لاستيعاب اربعمائة لاجيء استعدادا لنقل اللاجئين الموجودين بابي النحل اليهما قبل حلول فصل الامطار . وبعد ذلك انتقلنا الى قرية ابي النحل حيث يجري العمل في مشروع المياه الذي سيموِّل القرى ، ويقضي على عطش اللاجئين وعلى عطش القرى السودانية المجاورة .

تركت مرافقي في خيمة مشروع المياه واتجهت نحو اللاجئين فظنوني « خواجيه » ، والخواجيه بالنسبة للسودان هي الاجنبية ، ولكنني وقلت لهم : « انامنكم » ووقفت بجانب احدهم وكان يضع الحجب والتعاويذ فسالته عما يفعل فقال لي : هذا حجاب للحسد وذاك للقرينة وذلك للحماية من سحر السحرة .

وفي الطريق الى قرية ام سقطه او الثورة مررنا بمستشفى اللاجئين المؤلف من ثلاثة عنابر والمؤثث باحدث الاجهزة ، ولكنه لم يفتح حتى الان ، وقد يضطر اللاجيء المريض للذهاب الى القضارف مما يعجل في نهايته و ولهذا يجد الزائر ان مقابر اللاجئين في كل قرية تتسع بسرعة نظرا لاهمال وكالة الغوث ولعدم تزويد هذا المستشفى بالاطباء للاشراف على خدمة المواطنين .

ومن المستشفى انتقلنا الى قرية ام سقطه التي تعتبر اكبر قرى المهاجرين ، ويبلغ عدد سكان هذه القرية ٥٠٠٠ نسمة . ويقول السيد الماصي ان هذه القرية ستصبح مركز الثقل بين القرى اذ سيقوم فيها المركز الرئيسي لادارة اللاجئين والاجسام المختلفة التابعة له من ادارية وزراعية وتعليمية .

ثم تركت ام سقطه الى قرية سالمين او التحرير . وفي الطريق كنا نلتقي بالرعاة الارتريين مع مواشيهم .

وبالرغم من اشتراك قرية سالمين في الفقر والبؤس المدقع الا انها تعتبر اغنى قرى اللاجئين ، ففيها خمسة قطعان من الماشية ، وثلاث جمعيات تعاونية متعددة الاغراض .

وتتميز قرية سالمين بانها القرية الوحيدة التي لا تشكو من العطش .

وفي هذه القرية تسنى لي الالتقاء بثلاثة من شيوخها هم : الشيخ الحاج ابراهيم ادريس ، والشيخ عمر عثمان نسور ، والشيخ محمد آدم عبدالله . وسالتهم عن اوضاعهم المادية والمعنوية ، فقال الشيخ الحاج ابراهيم ادريس :

ان الحالة لا باس بها الان ، ولكنني ذقت الموت وشاهدت ما لم يشاهده بشر فقد بقيت مربوطا بالشجرة سبعة ايام في مدينتي « قاذى » عاصمة « بارمتوا » بعد ان سلبت سبعمائة جنيه كنت املكها وقتلت ماشيتي وحرق منزلي .

وقال الشيخ عمر عثمان نسور : بعد ان حل بنا ما حل لم يعد امامنا الا ان نؤهل اولادنا ونكون منهم جيلا قويا يقف في وجه اثيوبيا التي طردتنا من ديارنا .

وعن العودة الى البلاد قال الشيخ محمد آدم عبدالله : عندما نزحنا لم نكن نعلم ان النزوح سيطول فقد تركنا بيوتنا ومواشينا لعصابات الكومندوس الاثيوبي ، واليوم لا يوجد لاجيء واحد يتمنى البقاء بالرغم من اننا نعمل في المشاريع الزراعية في القرى المجاورة .

واترك اللاجئين في قراهم لاعود الى القضارف ، وفي الطريق الى القضارف يحدثني السيد حامد حسن خليفه مدير هيئة توفير المياه والتنمية الريفية فيقول :

اننا نقوم في الوقت الحاضر وكما رايت بنفسك بمد قرى اسكان اللاجئين بالماء ، عن طريق الاقنية وخطوط المواسير المغلقة .

والى جانب مشروع المياه هناك مشروع التنمية الاجتماعية والغرض منه التوعية واقامة حلقات لمحو الامية وللارشاد النسائي في جميع القرى وكذلك انشاء اندية اجتماعية ورياضية .

ويتابع السيد حامد فيقول :

بالرغم من مساوىء اللجوء فان اللاجئين في الوقت الحاضر مقدمون على تجربة ان استطاعوا الاستفادة منها سيحلون مشكلة الارض البور في بلادهم .

هذا وقد كان للارض التي خصصتها الحكومة السودانية بالاتفاق مع وكالة الغوث لتوزيعها على الاسر اللاجئة بمقدار عشرة فدادين للاسرة تزرع سنويا بنوعين من الحبوب هما السمسم والذرة دورها في عملية التحول .

ويضيف السيد حامد فيقول : ان الحكومة السودانية تيسر لاخوانها اللاجئين حرية التنقل في جميع ارجاء السودان شرط ان يعيشوا بعيدا عن الحدود الاثيوبية .

ومن العيوب التي استطعت اكتشافها في عملية استيعاب اللاجئين في جميع المشاريع ان السلطات السودانية تستوعب اليد العاملة الارترية باجر يومي قدره ثلاثون قرشا ، وقد استطاع بعض اللاجئين اثبات الجدارة في العمل ، الامر الذي ادى الى رفع الاجر اليومي في الجزيرة وفي مديرية النيل الازرق الى خمسين قرشا :

لقد اتضح لي من خلال هذه الجولة في قرى اللاجئين ان المجتمع الارتري النازح قد تحول ، او هو في طريقة الى التحول من مجتمع رعوي متنقل وراء الماء والعشب الى مجتمع زراعي مرتبط بالارض يعطيها من عرقه ودمه وتعطيه هي من خيراتها .

ليلى بديع
(تحقيق من قرى اللاجئين الارتريين في السودان)

بابلو نيرودا :

شاعر الأرض والإنسان المُهان

بقلم الدكتور ميشال سليمان

□□ خيل الي ، وانا اصافحه للمرة الاولى ، انه بقامته الضخمة ، وراسه الذي رحل عنه الشعر ، واعتصم فوق الرقبة والاذنين ، مشيرا الى ان الليل الاخذ في الزوال ، وما برحت فلول لــه تلف بعض زوايا العالم ، الا انها شاعرة بحتمية سقوطها ...

اقول : خيل الي ، وانا اصافحه للمرة الاولى ، انني احيي « هوميروس » جديدا ، تجمعت على قيثارته جميع انغام الانسان في شتى اقطار المعمور ، وقد بادرني معرفا بنفسه قائلا :

« اني ادعى بابلو
لي حب ، وعندي شكوك
وعلي ديون
وعندي بحر شاسع من موظفين
يحركونه موجة اثر موجة
وبي من التقلبات
بحيث ازور اسما لم تولد
واروح واجيء عبر البحر وبلدانه
اني اعرف لغة الشوك
وسن السمر القاسي
ورعشه المناخات
ودم الصدفة
وليل الحوت الاليل
لانني من ارض لارض
عبرت مصبات الانهار
ومناطق لا تحتمل
وكنت اعود دائما
بدون طمأنينة ، ولا مهادنة
فمادا بمقدوري ان اقول
لولا جذوري ! »

كان ذلك في المؤتمر العالمي للكتاب ، الذي عقد في «برلين فيمار» سنة ١٩٦٥ وكان لي شرف حضوره ، الى جانب العديد من شعراء وادباء القارات الخمس ، اقبلوا ليناقشوا قضايا الفن والشعر والثقافة عموما ، وكيفية النهوض بها ، لكي تتفتح بما يشرف الثقافة وينهض بالانسان .

في تلك اللحظة

واني لاتذكر اللحظة التي وقف فيها بابلو نيرودا في احدى جلسات المؤتمر ، يلقي قصيدة من روائعه في اسبانيا ... اسبانيا التي هي في القلب ، كما يقول نيرودا ، والتي شهدت عاصمتها مدريد اولى امجاد الشاعر ، وبواكير قصائده ، بعلمه بانبل ما في التراث الاسباني من شاعرية وغنائية وترف اخاذ ، ومضرجة بدم الجمهورية التي اغتالتها الفاشست ، كما اغتالوا لوركا ، وهونتنديز ، وغيرهما من عمالقة قيثار الطرب الاعلى في الارض التي ورثت امجاد قرطبة ، وطليطلة ، وانغام ابن زهر ، وفلسفة ابن طفيل وابن رشد وسواهم .

لقد هتفت جميع من في المؤتمر يومذاك ، ماخوذين بروعة الشاعر الثائر ، الحامل بصدره اوسمة جراح الانسان في كل القارات ، ذلك لان صوت نيرودا الهادر ، كما لو كان خارجا من اعماق كهوف الانسان الاول ، كان يطرق المسامع ، محملا المآسي الليالي الرازحة على شعوب اميركا اللاتينية ، وغلال الحديد التي يستخرجها من ارحام الارض ، معادن الشيلي والبيرو ، وازهار الاكاسيا والبرتقال والتبغ ، والقهوة في غواتيمالا وكولومبيا ، ورنين لسرور جبال «الانديز» الصلبة على كل جباه .

كان صوت نيرودا في تلك اللحظة ، اليقين بان شعره العصي الصلب كصخور جبال «الانديز» هو في الوقت نفسه سهل سهولة تراب الشيلي الغارق بالشجر والزهر ، لانه ثمرة امتزاج الشاعر بارض بلاده جميعا ، على مثله من علاقة شاملة بعالم الانسان .

فمنذ فتوته ، عرف بابلو التطواف في القارات والبلدان . ولعل اسبانيا كانت المحطة التي استأثرت باهتمام الشاعر ، فغناها اروع اشعاره الصارخة بالتمرد والنقمة والصياح !

« تعالوا انظروا الدم في الشوارع
تعالوا انظروا »

فبهذه الصيحة المأمورة ، طرح نيرودا الشاب الصوت على الدنيا ، وحملها على السماع الى الكلمات تزهر ورودا حمراء ، في قلب النار والبارود ، وذلك في قالب ملحمي ، اطاره بلاغة اخاذة ، ورموز غنائية تضارع الخلق الكبير .

وجزء من المصير ، راح نيرودا ينثر كنوزه متنقلا من منفى الى منفى ، ومن بلد الى آخر ، حتى عرفته عواصم الدنيا : باريس التي طرد منها ذات يوم لانه «عنصر خطر» ولندن ، وموسكو ، وبكين ، وبــراغ وبرلين وسواها . وقد نصب الشاعر بينها جميعا وبين نفسه جسورا من الصداقة ، تحمل على البوح ، وتدعو دائما الــى السفر :

« لنستمر في رحلتنا ، لان الحياة مستمرة
وعندئذ ، كما البارحة ، وغدا
سيحضر ، اليوم ، النبيذ والزعفران المادية
فتلتمع الاسماك في جهاز عرسها
وفي الجو الافريقي ترقص الافطية » .

من هذه الشفافية العاملة انقى ما في الحس الانساني ، وما في الطبيعة على السواء ، ثمة عنصر في شعر نيرودا ، يكاد يكون العمود الفقري لشعره كله ، الا وهو صلة الانسان بالارض وبالشعر . فالارض ، نار تغذي حياتنا . ان شعورنا بعنان من نعرفهم ، ومن نجهل ، وهم الذين يسهرون على احلامنا ووحشتنا ومخاطرنا وفشلنا ، انما هو شعور اعظم واجمل لانه يفرداننا ويمتد الى ذوات الاخرين » .

اجل ، ان نيرودا لسعيد ! . وسعادته نابعة من كونه ربط مصيره بكل ما هو نام «في الحياة» ومتقدم ، ومجابه ، وغلاب . لقد شد ذاته بذات القوى الثورية المناضلة في العالم ، وغنى جراحها ، ومآسيها ، وانتصاراتها . ومن «النشيد الشامل» الى « عشرين قصيدة حب» ، الى «اسبانيا في القلب» ، الى «الفليستيقلا الحطاب» ، الى «العناقيد والريح» ، الى «رياح آسيا» (1) وغيرها وغيرها .. صوت متعدد الانغام ، يخترق كل الاذان ، ويدخل القلوب بــلا استئذان ويبحث دائما من تراية يغرز فيها جذوره ، منذ البداية . وحسبنا من هذه البداية الى يومنا هذا سلسلة ، بعض حلقاتها هي :

ولد ريكاردو اليسير نفتالي ريبس في الشيلي ، سنة ١٩٠٤ . في سنة ١٩٢٠ اتخذ اسم بابلو نيرودا وعرف به . وفي سنة ١٩٢٧ عين قنصلا للشيلي في رانغون ، وسيلان ، وفي سنة ١٩٣٤ عين قنصلا في الارجنتين حيث التقى بلوركا للمرة الاولى . نقل الى اسبانيا سنة ١٩٣٤ . سنة ١٩٣٦ شاهد الفاشست يذبحون الجمهورية الاسبانية ، ولوركا في مدريد . وفي سنة ١٩٤٨ لجا الى النشاط السري في الشيلي . وفي سنة ١٩٤٩ غادر الشيلي ، وسافر الى الاتحاد السوفياتي واشترك بذكرى بوشكين ، وحضر مؤتمر انصار السلم العالمي وانتخب عضوا فيه . وفي سنة ١٩٥٠ نال جائزة السلم العالمية . وعاد الى الشيلي سنة ١٩٥٢ ، حيث انتخب سنة ١٩٥٥ رئيسا لاتحاد الكتاب فيها . وزار كوبا والمكسيك سنة ١٩٦٠ . وترجمت اشعاره في هذه الفترة الى العديد من اللغات . وفي سنة ١٩٦٥ حضر مؤتمر الكتاب العالمي في «برلين فيمار» . وفي سنة ١٩٧١ ، ولاسابيع خلت ، عين سفيرا للشيلي في باريس ، بعدما كان قد طرد منها ذات يوم ، وبقي في نفسه منه جرح بالغ .

شيء آخر

ولقد كنت قبل لقائي به في مؤتمر « برلين فيمار » ، اتخيله عملاقا ، في مشيته صلف ، وكبرياء ، وبرم بالارض التي يمشي عليها ، وتحمل ، فيما تحمل ، الطغاة ومستعبدي الشعوب ، وكنت اتخيله محبا للعزلة ، عبوسا ، يؤثر الصمت المطبق ، لكي لا يتكلم الا شعرا ...

اما في تلك اللحظة من مؤتمر الكتاب العالمي ، فقد تبين لي انه شيء آخر غير ما توهمت .. فلقد تكشفت لي شخصيته عن دماثة خلق ، ورحابة صدر ، وقدرة قادرة على المقابلة والاطالة . يزين ذلك كله ثقافة عميقة ، وشعور بالطبيعة البشرية قــل نظيره . ثم كانت لنا ، يومذاك ، اصطفاءات ومحاورات ، افعل في النفوس من كل مما ذقنا من خمور معتقة في مدينة «غوته» و« شيللر» .

وحدث مرة قال : «على بحيرة بودي» ، كان الصيادون يصطادون طيور البجع بشكل مفجع . كانوا يقتربون متخفين بقواربهم ، ثم ينطلقون بالمجاذيف بسرعة خاطفة . ولما كانت هذه الطيور تطير متثاقلة كان عليها ان تخفق في المياه قبل التحليق . وكانت ترفع جوانحها ببطء . وكان الصيــادون يمسكون بها ، ويضربون اعناقها بالسكاكين والعصي .

وذات يوم ، جاءوني ببجعة اقرب الى الموت منها الى الحياة . وكانت من ذلك النوع الفريد ، ذي الرقبة السوداء ، الغارقة في ما يشبه الجورب الحريري ، ولها منقار برتقالي ، وعينان حمراوان . وغسلت جراح الطائر ... وقدمت له كسيرات خبز فلفظها جميعا . واخذ يلمس من تصرفي الذي منقذه ، ولبثت على هذه الحال سحابة عشرين يوما ، وكانت البجعة على وشك الشفاء ، ورحت أسبح وإياها في النهر . وذات يوم جئتها على صدري وانا في طريق العودة الى البيت ، وساعتئذ شعرت بما يشبه الساعد السود يتزحلق على وجهي . كان ذلك عنق البجعة وهي تسقط الى حيث لا نهوض .

هكذا علمت بان البجع لا تبلغ حالة الموت، عندما تموت من الكآبة » .

على هذا النحو ، اكتشف بابلو نيرودا الملح الذي بدونه لم يكن ثمة خبز شعري يؤكل في هذا الزمان . ومع ذلك ، لم ينته عنده اي شيء :

ـ « لا وقت لدي فيما يتعلق بالامي الخاصة » .
ـ « الحقيقة اعلى من القمر » .
ـ « العالم لون التفاحة العارية » .
ـ « واني احب نشيد الانسان الاعمى
وضجة الملح التي تصدم
جدران الفجر المحتضر » .
ـ « واني اسمع ، وارى
نصف روحي على البحر
والنصف الاخر على الارض
والنصفان ينظران الى العالم » .

فلننظر الآن الى عالم من شعر نيرودا :

ـ اني اطلب الصمت

□ اما الآن فدعوني وشأني
. واعلموا ما شئتم في غيابي
اود ان اغمض عيني .
لا ابغي سوى اشياء خمسه
خمسة جذور اثيرة
اولها : حب بلا نهاية .
ثانيها : رؤية الخريف
لا استطيع ان اعيش دون ان ارى
الاوراق تدور وتتساقط على الارض .
ثالثها : رؤية الشتاء الثقيل
المطر الذي احببت
ومداعبة النار في برد الغابة .
رابعا : رؤية الصيف
مستديرا كما راس البطيخ .
خامسها : رؤية عينيك
ماتيلد ، يا حبيبتي
لا اريد النوم بدون عينيك
لا اود ان اكون بدون نظراتك
لاكيل الربيع
كيما تتلي اثري بنظراتك .
ايها الاصدقاء ، هذا كل ما ابتغي
يكاد يكون لا شيء
ويكاد يكون كل شيء .
اما الآن ، تفضلوا ودعوني لوحدي .
لقد بلغت من العمر
بحيث ينبغي ان تنسوني يوما ما
ان تمحوا اسمي عن اللوح .
كان قلبي بلا حدود
ولكنني اذا ما طلبت الصمت
فلا يخامركم ظن انني سأموت
العكس تماما هو ما يحصل لي
يتفق انني سأعيش
ويتفق انني موجود ومستمر الوجود .
الا يبصرون نمو الغلال
في ، زهرتي .
الحبوب في بادىء الامر
تشق الارض لتبصر النور
لكنها مظلمة هذه الارض الام :
ومظلمة هي احشاؤها ،
اني اشبه بئرا
تلتقط نجوم الليل
التي وجدها عبر الحقول .
تتابع طريقها .
وبقدر ما عشت اريد ان اعيش
هذه يكفيني ،
لم اشعر بعمق رغبتي
شعوري اليوم
ولم اشعر في كوني بحضورا
بهذا القدر من العمق
الوقت ما زال مبكرا
شانو في ذلك دائما
النهوض بطر مع تعلاحه
ودوني وحيدا مع النهار
ارجوكم دعوني [illegible]

(1) ملحمة «رياح آسيا» لبابلو نيرودا ، نقلها الى العربية الدكتور ميشال سليمان ، وقدم لها عبد الوهاب البياتي .

[illegible]

□ صورة تجمع بين الشاعرين العالميين بابلو نيرودا وناظم حكمت □

□ بابلو نيرودا .. جعل الشعر بمقام الخبز بالنسبة للناس ... □

فمنذ ذلك الحين ، اصبح الشعر عند نيرودا وسيلة لمخاطبة الناس ، ولغــة ينبغي ان يدركها الجميع ، حتى الذيــن لا يفهمونها فهما مباشرا :

« انا اكتب للشعب
برغم كونه لا يستطيع باعينه الهلكى
ان يقرأ اشعاري » .

الشعر بمقام الخبز

بهذا جعل نيرودا الشعر بمقام الخبــز بالنسبة للناس ، يحتاجون اليه حاجــة قصوى ، ولا موجب لان يعرفوا مصادره ، وكيفية اختماره وخبزه . المهم ان ياكلوا ويتغذوا . وبعد ذلك ياتي دور البحث عــن الاصول . وبهذا ايضا جعل الشعر عمـلا عاما ، قلت جماعيا ، يتخذ مكانه فــي النضال ، وفي تبديل العالم . واذا كان قد توغل في كثير من قصائده ، في عالــم الفن [illegible]

والشعب والشعر هي جميعا مرتبطة بقيود سحرية ، تجعل من موقف الشاعر بازائهـا ظاهرة في الفن تسمح بفهم الشعر الحديث على نحو جديد ، وتبين ما هو متداخـل ، واصيل ، وتوحيدي في تباينه ، في هـذا التطور الفني النيرودي الناهض من قاعـدة فلسفية سياسية ، مدارها الانسان وصيرورته في المجتمع ، لا خارجه ، ووجوب النضال من اجل تحصيلهما .

وفي هذا الاطار الشعري الجديد ، ثمة عملية جدلية ، قوامها الرفض ، والتحول الواعيين ، المتمثلين في كل ما ابدع الشاعر ابتداء من «النشيد الشامل» وهو ملحمة اميركا المقاتلة ، التي يبحث فيها الشاعر دائما عن ارضه البكر ليغرز فيها جذوره» [illegible]

الدكتور أحمد مكي
يضع يده على جرح .. التربية والتعليم في لبنان :

لم نكوّن جامعة .. وإنّما فتحنا دارًا للمعلّمين متعدّدة الأسماء

□□ مع موسم الامتحانات السنوية ، تلتبع اوراق هامة في ملف التربية والتعليم في لبنان ، خاصة على الصعيد الجامعي . واوراق الجامعة اللبنانية تشغل بالطبع غالبية اللبنانيين ، الذين يتوقون الى رؤية جامعتهم الوطنية تحتل المستوى اللائق بهــا .

هنا ، استاذ رائد من اساتذة الجامعة اللبنانية ، تولــى مديرية التعليم الثانوي في وزارة التربية (١٩٥٦ ــ ١٩٥٨) وعمادة كلية الاداب (١٩٦٢ ــ ١٩٧٠) ويشغل حاليا رئاسة قسم اللغة العربية في هذه الكلية ، الى جانب كونه استاذا جامعيا ، واحد المشرفين على الرسائل المعدة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، هو الدكتور احمد مكي ، يضع اصبعه على الجرح من جديد ، ويرفع صوته الابوي في وجه الطلاب محللا مشكلة « عقدة الطالب » ، ومعلنا رأيه في الاضرابات ، والمطالبة بالمشاركة ، والثورة الطلابية ، والتخطيط التربوي ، والامتحانات ، والسياسة التعليمية .

وفيما يلي ، حديث الدكتور مكي الى « الملحق » :

□ البلاد تعيش «عقدة الطالب» ! □

عقدة الطالب

هناك مشكلة اسمها « مشكلة الطالب » مردها الى انعدام السياسة التربوية فــي البلاد . وككل مشكلة لا تحل ولا يفكر بحلها تتعقد . ثم بسبب هذا التعقد تفرض حلول تخديرية غير صالحة . من هذا الوضع الشاذ بدات البلاد تعيش ما يمكن ان يسمى « عقدة الطالب » !

السلطة تتهيب الطالب ، والــراي العام يتهيب الطالب ، وادارة المؤسسات التعليمية تتهيب الطالب . نتج عن هــذا الوضع اشتداد الشعور بالقوة عند الطالب ، لدرجة اصبح ينسى انــه طالب ويشعر بانــه قوة فاعلة ، ويريد ان ينتمي الى نقابة ، حتى لا نقول انــه ينتمي الى احزاب .

كيف نشأت ؟

عمليا ، لماذا نشأت عقدة الطالب ؟

لان الطالب ، وبصورة خاصة في الجامعة اللبنانية ذو شخصية مزدوجة ، تطغى احداهما على الاخــرى .

الطالب في الجامعة اللبنانية له شخصيــة اجتماعيــة كاملة مستقلة ، فهو ذو عمــل اجتماعي واضــح ، وله دخــل محــدود واضــح ، وبالتالي هــذه الشخصية هــي شخصيــة مضغوطــة مكبوتة ناقمة متمردة ، ولكنها عاجزة عن اظهار هذه النقمــة وهذا التمرد . هــذه الشخصية تغيب لتظهــر في شخصية الطالب الاخرى . فالطالــب الذي هو موظف في الدولة ومكبوت الفــم لا يستطيع ان يقول شيئا للدولة ، عندما يصبح في الجامعة ينتقد الدولة بملء فيه ويتظاهــر ضد الدولة . ومن هنا النقمة على الاساتذة وعلى الادارات ، لان الادارات والهيئــات التعليمية لها مستوى تريد ان تحافظ عليه ، وهو يشعر بان تمسك هذه الادارات والهيئات بمستواها يؤخر وصوله الى غاياته .

مكاسب الاضراب

مثلا : عندما يعلن الطــلاب الاضراب ــ والاضرابات عادة معروفة في الجامعة اللبنانية ــ هنالك اهداف تتحقق او مكاسب سلبيــة ومكاسب ايجابية . هذا الاضراب الــذي يعلن باستمرار وكــل عام في الجامعة ، يحقق مكسبا ايجابيا واحدا وهو اجتزاء البرامــج التي يجب ان يجري الامتحان فيها . وبالتالي يكون ايجابيا لان الطالب ينال في ثلاثــة او اربعة اشهر ما كان يجب ان يناله فــي تسعــة اشهر . وهذا بطبيعة الحال يوصل الى تحقيق غاياته المرتبطة بوضعه الاجتماعي الاول ، وهو الرغبــة في تحسين وضعــه الاجتماعي والاقتصادي .

المطالبة بالمشاركة

المطالبة بالمشاركة مطلب معقول ، وقــد حقق في كثير من الجامعات في اوروبا واميركا ، مع الفارق في التقاليد الجامعية بيننا وبــين الجامعات الاخــرى .

المطالبة بالمشاركة .. هل يطلب منهــا الا تسهيــل امر تخريج الطلاب من الجامعة ، حتى ولو كان على حساب المستوى ؟ ومــن هنا اثارة المطاليب بالغاء المادة الفلانيــة والعلامة الفلانية والشهادة الفلانية والامتحان الفلانــي .

التحرر من العقدة

كيف يمكن ان نتحرر من عقدة الطالب ؟

الواقــع ان ازدياد عدد الطلاب الجامعيين في بلد مثل لبنان ، ليس دليل صحة وعافيــة بــل هو دليــل مرض .

لدينا مثلا في كلية الاداب اربعة الاف طالب ، فلو كان بالامكان تقديم المخارج والاعمــال الملائمة والمناسبة لاستعداد كـــل واحــد ومؤهلاتــه ، لما توجــه كـل هــؤلاء الطلاب الى كلية الاداب ليتخرجوا في التعليم .

ومن هنا ايضا المطالبة في كليات الجامعة كلها بان تعادل جميع الاجازات بالاجـــازة التعليمية . ومن هنا قولي من قبل ، واردده اليوم ، اننا لم نكون جامعة ، وانما فتحنا دارا للمعلمين متعددة الاسماء .

التخطيط التربوي

حتى لا نساعد على تخريج اجيال من حملة الشهادات دون العلم ، ينبغي ان يكــون هناك تخطيــط تربوي . وهذا التخطيط يجــب ان ياخذ بعين الاعتبار المخارج ، ليــس فقط الطبيعيــة ، بــل الضرورية لهــذا البلــد .

ان بلدا كلبنان لا يجوز ان يتخرج فيــه خمسة الاف محام مثلا في عشر سنوات . ومثل هذا يقال بالاساتذة الثانويين . اذا لم نضع اسس التخطيط والتوجيه فمعنى ذلك اننــا نسعى بخطى سريعة الى كارثة من الناحية الانسانية والاجتماعية والاقتصادية .

نحن لسنا ضد التعليــم في الجامعة ، ولكننا نطالب بتنويــع التعليم حتى يتســع الشباب كل على حسب استعداده ومؤهلاتــه للافــادة منــه في الحيــاة الاجتماعيــة والاقتصاديــة والفكريــة . والتنويــع لا ينحصر في المرحلة الثانوية ، بل يجب ان يشمل المرحلة الجامعية .

العلاقة بين الاستاذ والطالب

نقطة يجب ان تواجه من داخل الجامعة . هناك مشكلة ينبغي ان تتنبه لها الهيئــات التعليمية في الجامعة . ان احتضان كل حركة طالبية ليس معناه عملا تقدميا . وارجو ان ينظر الاستاذ الى تلاميذه دائما نظرة الاب الى ابنائه ، فهو لا يتوانى عن تقديم كل مــا يحتاجون اليه لنموهم الاجتماعي والعقلــي والفكري ، ولكن يبقى ابا له سلطته وكرامته وهيبته التي تمنعه في ان يتساهل في بعــض ما يمكن ان يعود بالضرر على اولاده . وكل تراخ من قبل الاساتذة امام التطلعات العارمة للطلاب ، يوشك ان ينقلب وبالا علـــى الفريقين .

الثورة الطلابية

الثورة الطلابية ظاهرة طبيعية جدا ، وهي تمثل الصراع الدائم بين القديم والحديث . ولكن نظرا لانتشار وسائل التعليم والاعلام ، ولان التعليم اصبح ديمقراطيا وبالتالي حقا من حقوق الشعوب ، اصبحت تلك النامســات الخفيفة صوتا جهيرا يقرع الاذان . وهي منذ كانت ، والى ديمومة الاجيال ، ستظــل قائمة . ولكن الاساليب التربوية والخطــط الانمائية للدولة تحد من شدة تلك الثورة .

وكل بلد لا تكون الخطط التربوية والانمائية موضوعة فيه لتلبية حاجات الاجيال الطالعة ، يكون مهيا لاندلاع الثورات الطلابية فيه .

حركات فورية وآنية

اعتبر ان الحركة الطالبية حركة نابعة في الحقيقة من قلوب الطلاب ، ولكن كثيرين منهم اصبحوا ينتمون لحركات حزبية او سياسيــة ذاتيا او تلقائيا او بعطف وتأييد من فئــات سياسية او حزبية معينة . لولا هذه الدوافع والانتماءات تبقى الحركة الطالبية حركة نابعة من الشعور بالمسؤولية الفردية عند الطالب ، ولو كان بطريقة مبكرة .

الانفجار لا يتاتى عن حالة او حالتين ، وانما يكون وليد مجموعة حالات . والدليل على ان هذه الحركات هي اشياء فورية وآنية ، هو انها تنطفىء بعد انقضاء المناسبة والظــرف دون ان يترتب عليها شيء للسنين القادمة . فرابطات الكليات في الجامعة لم تستطع حتى الان ان تنشىء رابطة للخريجين ، مما يدل على ان الطلاب لا يهمهم الا ما قاله الشاعر :

ما مضى فــات والمؤمــل غيــب
ولك الساعة التــي انت فيهــا

فرابطة الخريجين يجب ان تنشأ لتكــون صلة الوصل بين الاجيال الطالعة والسلطــة والراي العام ، في ديمومة النمو والتطور .

الامتحانات معيار التحصيل

الامتحانات يجب ان تكون المعيار الحقيقي للتحصيل الطالبي ، لان كل تساهل بالامتحانات او تشدد فيها يعود بالضرر لا على الطالب بل على الجامعة وعلى النشء بكامله . ولذلك يجب ان تكون الامتحانات ذات مستوى ، وان تدار بروح التجرد والامانة العلمية .

حرصا على مستقبل اولادنا ومستــوى اعدادهم الثقافي ، يجب الا نتساهل باوقات الدوام والدروس الفعلية في تقرير نتائــج الامتحانات .

سياسة تعليمية على مستوى الامة

السياسة التعليمية لا يجوز ان تكون على مستوى الحكومة او على مستوى الدولة ، بل يجب ان تكون على مستوى الامة ، لان الانسان منذ ولادته الى وفاته يجب ان يكون موضوعا للتربية والتعليم ، وهذا ما يجري في البلدان الراقية تحت شعار « التربيــة المستمرة » . وقديما قيــل : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » . ولاجل ذلك يجــب تهيئة الجو الجامعي الاصيل الذي يوفر اسباب البحث والتحقيق والتمحيص والاستزادة مــن المعرفة . ولا يتم هــذا الا بالاحتكاك المباشر بين الاساتذة والطلاب في اخــوة صادقــة واخلاص ومحبة متبادلين ، حتى يقضى على هذه العزلة القائمة القائمــة بــين الاستاذ والطالب . فلا يكتفي الاستاذ بالقاء محاضرته والانصراف ، والطالب بتدوين ما سمــع والعودة الى البيت ، بل يكون ذلك في تفاعل وتعاون وتبادل لوجهات النظر .

□ ح . م □

اللعبة .. مبتدأ وخبر !

قصة بقلم : صبري العسكري ــ القاهرة

> ــ « ليست قصة عاطفية .. وليست حديثا متخصصا في السياسة .. ولعل الاقرب الى الصواب ان نقول بانها نتاج لعصر اختلاط الاشياء .. عصر الازمة ..!

□□ كانت سامية هانم سيدة فاضلة بمعنى الكلمة .. تقرأ الاوراد .. وتعد على حبات المسبحة .. وتقوم على الصلاة في مواعيدها .. بينما لم تكن قد تجاوزت الخامسة والثلاثين من عمرها .. ولم يكن جمالها قد تخلى عنها بعد ..

ولدخول سامية هانم عالم الفضيلة على ذلك النحو المتشدد .. قصة ..

كانت متزوجة .. ولم تكن تتصور ان زوجها من الممكن ان يموت .. ولكنه مات ..!

عندها انقلبت الدنيا في عينيها راسا على عقب ..

اعتقدت انها هي الاخرى ماتت .. وان روحها انتقلت الى حيث انتقلت روحه ..

لم تكن قادرة على ان تتصور رحيله بغير ان ياخذها معه .. او على الاقل بغير ان ياخذ روحها واحلامها وافكارها .. ذلك ان جسدها استعصى على الدخول في دائرة معتقداتها المستحدثة .. وعقابا للجسد المستعصي ذهبت الى انكاره .. بل واستغلته بما انشغلت فيه من قراءة للاوراد .. وعد على حبات المسبحة .. وقيام على الصلاة بغير كلل ..

ومع ذلك .. فقد كانت جميلة عندما عرفها .. بل وخيل اليه وقتها انها لم تكن حزينة ..

كان الحزن مجرد كلمات تتزلق من بين شفتيها بينما كانت شفتاها تضجان بالفرحة، وكان مجرد بريق مستحضرا في عينيها بينما كانت تطوف فيهما امواج الرغبة ..

في لقائهما الثاني ــ فلقائهما الاول لم يكن فيه شيء يذكر .. سوى انه ادرك .. وبغير اتفاق .. انه سيراها مرة اخرى ــ قال لها :

ــ الحياة اقوى ..

ــ كان هو الاخر قويا .. ولكنه مات ..

ــ من المفيد لك ان تتذكري دائما انه لم يكن الحياة ..

ــ بالنسبة لي على الاقل .. كان كذلك ..

ــ ربما قبل ان يموت .. اما وقد مات فالامر يختلف ..

★★★

ــ قف عندك .. انا ارفض ان تستمر معي .. ومع المراة التي كنت اعرفها .. على هذا النحو من الحديث التقليدي الممل ..

لم يكن ما بيني وبينها تقليدي او ممل ..

ــ ليس من شانك ان تتدخل .. لقد صنعت الاحداث وهذا يكفي .. لم تريد ان تمتد بظلك الى ما بعد الحدث .. ؟

ــ لانني لست الزوج الذي مات .. انا بطل القصة الذي لا زال حيا يرزق .. ولذلك فمن حقي ان اراجعك فيما تكتب عني وعنها .. لن اتركك تفعل بي وبها ما يحلو لك ..

ــ انا لا اريد سوى ان اقول عنكما الحقيقة ..

ــ حقيقتنا نحن .. ام حقيقتك انت ..؟!

انك مثل سائر الكتاب تحمل في داخلك عقدك الكثيرة .. وبدلا من ان تتوجه بها الى طبيب نفساني ليحلها لك .. تنزعها من داخلك وتزرعها داخل ابطال قصصك .. وبذلك تتقاضى اجرا وكان من المفروض ان تدفع اجرا ...!

ــ كن عادلا .. قل على الاقل باننا جميعا نحمل عقدنا في داخلنا ..

ــ فليكن .. ولكن لا تكتب عني وعن حبيبتي من خلال عقدك ..

ــ هل هي حبيبتك ..؟ كانت ..؟ ولا زالت ..؟

ــ ما رايك انت ..؟

ــ ما دمت تحتاج الى رايي .. فلا اقل من ان تتركني فيما كنت فيه .. وحتى لا اغضبك .. او اتركك بما كنت عليه من غضب .. ارجو ان تصدقني انه ليس هناك جديد بمعنى جديد .. ان الاشياء .. والمعاني ايضا .. ضاربة بجذورها الى اعماق بعيدة .. الى حيث يرقد اقدم القديم .. فما تصورت انه تقليدي وممل في حديثي .. فانما هو اصول الصنعة .. انني لا استطيع ان اكتب الجديد منك ومنك .. الا من خلال ما كتبه غيري من قبل عن اي رجل .. وعن اية امراة ..

ــ ولكنني لم اكن اي رجل .. ولم تكن هي اية امراة .. لم اكن « قيس » مثلا .. ولم تكن هي ليلى .. سيدي الكاتب .. المهم .. كل ما ازعجه منك .. ان تكتبني .. وتكتبها .. من خلال مشاعرنا نحن .. لا من خلال مشاعرك .. من خلال ايامنا التي عشناها .. وتذوقناها .. وكانت بالنسبة لنا لحظة .. او اقل .. وليس من خلال لحظاتك .. التي ربما كانت اياما .. واياما طويلة .. سيدي .. ارجوك .. اكتبنا من خلال عصرنا ..

تقصد عصر « الهيبي » .. و« الماكسي » .. و« الميكروجيب » السابقين ..

ــ بل وعصر الحروب والازمات .. عصر السياسة التي دخلت كل بيت .. والشعارات التي جرت على الالسنة .. على السنة الاطفال .. لماذا لا تذكر عصرنا الا بما ذكرت ..؟!

ــ لانني لا اكتب حديثا في السياسة ..

ــ هل تعرف ..؟ لطالما استمتعنا .. انا وهي .. بالحديث في السياسة ..

ــ ما شاء الله .. وهل كان لديكم وقت لشيء اخر ..؟!

ــ انك تسخر ..! ولهذا فلن امكنك مني .. سوف اروي انا لك القصة لعلك تدرك حقيقة الذي يعنيني من كل هذا .. القصة في تصوري .. انها لم تكن انثى عندما التقيت بها .. كانت الانثى في داخلها قد ماتت .. فجاهدت طويلا كي اجعلها تقتنع بانها لا زالت الانثى التي كانت .. او بانها تمتلك جميع القدرات لان تكون انثى حتى بموافقتها على ما كانت تقول من انها لم تكن كذلك في يوم من الايام .. فماذا كانت النتيجة ..؟

ــ اعرفها .. واعرف انها كانت ماساة كما يحلو لك ان تسميها .. ولكن دعني اصغ لك الحكاية .. والا فان النتيجة التي يعرفها كلانا لن تكون مقنعة لاحد .. وحتى تهدا بالا .. فسوف اعطيك حق الاعتراض اذا شئت .. وفي الوقت الذي يروق لك ..

اتفقنا ..! اتفقنا .

★★★

ولم تكن مهمته معها سهلة ..

كان يعرف انها عندما عقدت شعرها الطويل الاسود في مؤخرة راسها .. مثلما كانت تفعل جدتها من عشرات السنين .. فانما قبل ذلك لا بد انها كانت قد عقدت كل شرايين الرغبة في داخلها حزمة واحدة .. والقت بها في عمق النسيان من نفسها ..

وبالرغم من ذلك .. فقد جعل محاولته الاولى معها .. ان يفك عقدة الشعر في مؤخرة راسها ..

وبدت له جميلة .. اجمل مما كان يتوقع .. بمجرد ان انفكت خصلات شعرها الفاحم .. وتماوجت من حول عنقها .. ومن فوق وجنتيها ..

ومد يده الى شعرها ليسوي من تهدلات الخصلات الطليقة .. فلامست اصابعه بشرتها .. وانتقل اليه دفء دماء الحياة في وجنتيها .. وخيل اليه لحظتها ان يدا لرجل لم تلمس بشرتها من قبل ..

ــ كل هذا لن يفيد .. صدقني اذا قلت لك بانني لا اشعر بالرغبة في ان اكون كما تريد ..

واطلق شعرها .. وانتقلت في عقدة كما كان .. في مؤخرة راسها ..

وصرخ فيها بصوت مكتوم ..

ــ ولكنني احسست بالحمام تشقق الجسد [illegible] وجنتيك ..!

اوتريد ان تحرمني .. حتى هذا الانفعال البسيط ..؟!

ــ من هذا الانفعال البسيط سوف نبدا .. اعطني فرصة ..

ــ ولم الفرصة ..؟

ــ ولم لا ..؟

ــ لا احب التجارب ..

ــ بدون تجارب تفقد الحياة معناها ..

ــ واي معنى لكل ما حدث لي ..؟ لقد اكتشفت في وقت متاخر ان كل الاشياء تصبح في النهاية بلا معنى .. وتاكد ان هذا هو ما اصبح يريحني جدا .. ويدخل الامان الى نفسي .. فلماذا اعود ..! لكي اكتشف مرة اخرى ان ما سعيت اليه من جديد هو الاخر بلا معنى ..؟!

واستطاعت ان تكسبه الى جانبها .. كانت صريحة معه وبسيطة في التعبير عن نفسها .. فاندفع الى تصديقها .. وكاد يحزن معها ..

ــ لم يكن قصدي ان تعيشي معي همومي .. واخذ يدها بين يديه .. ويطلع الى الخطوط الباهتة المنسابة في باطنها ..

ــ اتقرا لي الطالع ..؟

ــ ابدا .. فقط اريد ان اقبل ايامك المقبلة .. جميعها ــ لانها ستكون معي .. وقبل راحتها ....

وارتعشت اناملها بين يديه .. وعاد يراها ودماء الحياء تتدفق الى وجنتيها واذنيها .. ثم لم تلبث ان سحبت يدها برفق .. وانصرفت عنه .. بدون كلام .. وبغير اتفاق على موعد ..

★★★

ــ مرة اخرى اقطع عليك استرسالك .. لا بقصد الاعتراض عليك .. ولكن لكي اوضح لك شيئا هاما .. هو انني لم اشعر بشيء من الانزعاج لانصرافها عني بدون كلام .. وبغير اتفاق على موعد ..

ــ لعلك تريد القول بانك كنت واثقا من عودتها .. يا لك من مغرور .. !

ــ بالفعل كنت واثقا من عودتها .. غير ان ذلك لم يكن لانني مغرور .. عيبك هو انك دائما تفسر الاشياء بمنطقك التقليدي ..!

ــ فسرها انت بمنطقك الحديث ..!

ــ منطقي .. واراه منطق العصر بصفة عامة .. هو انها لو كانت قد قررت عدم العودة لما منعتها قوة من اعلان موقفها .. اننا يا سيدي جيل يتعامل بصراحة وبغير عقد كما قلت لك من قبل .. ان موقفها لا يجب ان يفسر الا في حدود ما حدث .. وما حدث هو انها انصرفت عني بدون كلام .. وبغير اتفاق على موعد .. اذن فهي لم تقل بانها لن تعود .. الست معي ..؟

ــ انكم جيل ينقصه الخيال ــ

ــ ابدا .. انما الفرق بيني وبينك انني استعملت خيالي بشكل ايجابي .. صحيح انها لم تقل بانها ستعود .. ولكن الصحيح كذلك انها لم تقل بانها لن تعود .. اذن فالمسالة كانت مسالة وقت .. بعده تصدر قرارها .. ولان قضيتي معها كانت صحيحة .. ذلك انني كنت ادعوها الى الحياة .. فلم يداخلني شك في ان قرارها سوف يكون لصالحي وليس ضدي ..

ــ الحق اقول لك انني اصبحت اضيق بكل هذا .. هل ينقصك ان تعلم بان تعبيراتك .. مجرد تعبيراتك .. لا تصلح للاستخدام في قصة عاطفية .. ايجابي ..! قرار .. ! قضية .. ! ان هذه التعبيرات لا تستخدم في العادة الا في افتتاحية جريدة صباحية .. غير مقروءة .

ــ لا توجد في عالمنا كلمة واحدة من الممكن ان تقول عنها بانها غير مقروءة .. فلو انك رفضت قراءتها .. لاستطاعت ان تصل اليك عن طريق «الراديو» ... واذا عجل «الراديو» عن اقتحام عالمك المغلق لاقتحمه « التلفزيون» .. ثم لا تنس مكبرات الصوت في الميادين .. و«دردشة» الاصدقاء في «التليفون» .. سيدي .. تاكد انك محاصر دون ان تدري ..

ــ في الحقيقة .. انت الذي تحاصرني .. وكانك تريد ان اكتب قصتك .. كما اكتب مقالا عن حرب فيتنام ..

ــ بالضبط .. هذا هو ما اريد .. بل وانا لا اتجاوز الحقيقة في شيء اذا قلت لك بان ما حدث لي .. لا يمكن ان يختلف ... عما يحدث في سيناء ..

ــ لا .. هذا كثير ..

ــ طول بالك .. ودعني اسالك سؤالا محددا .. اليس ما يحدث في سيناء هو نوع من القهر للحاضر .. ونوع من الاستنزاف للقدرة على المستقبل ..

ــ استمر ..

ــ هذا هو عين ما حدث لي .. لقد استنزفت بما فيه الكفاية .. واكاد اشعر بالقهر يسحق عواطفي ..

ــ الا ترى معي انك تضع نهاية القصة قبل الاوان ..؟ يجب ان تكون هناك بداية وعقدة ــ ونهاية .. والا اصبحت القصة فاشلة ..

ــ سيدي .. اننا نعيش عصرا محطما .. ان عالمنا لا تحكمه البدايات او النهايات .. وانما يحكمه الاستمرار .. ولذلك فانا اطلب منك ان تنطلق في قصتي من خلال هذا المفهوم .. والا لكانت النتيجة انك لن تفهمني .. ولن تفهم قصتي ..

ــ يا سبحان الله ..!

ــ لا تتعجب .. واستمر في الحكاية بغير قيود وسوف ترى بنفسك انني لم اخدعك ..

ــ وما الضمان ..؟

ــ الضمان هو انني لا استطيع خداعك ..

ــ حتى لو اردت ..؟

ــ حتى لو اردت ..

ــ كيف ..؟

ــ ان القدرة على الخداع لا تتشكل في الانسان الا اذا كان مطالبا بان يفعل دائما ما يريده الاخرون .. وقد حل جيلنا هذه المشكلة .. ذلك اننا نفعل دائما ما نريد ولبس ما يريد غيرنا .. هل تذكر انني قلت لها نفس الشيء ذات مرة ..؟

★★★

قال لها :

ــ حبيبتي .. فلنتفق على شيء .. كل منا يصنع ما يروق له .. ولا يطلب من الاخر شيئا ..

ــ كيف ..؟

ــ مثلا .. اذا شعرت بانني اريد تقبيلك فسوف اقبلك .. ولك علي الا اطلب منك مبادلتي القبلة باخرى ..

ــ ولكنك سوف تقبل شفتي .. اذن فانا مطالبة بان اقدم لك شفتي لتقبلهما ..!

ــ انت غير مطالبة بشيء .. سوف اجعل بيني وبينك مسافة .. لن المس شفتيك .. فقط سوف اهيم على بعد منهما .. ايا كان هذا البعد .. فهو مسافة تفصل بين ما اريد .. وبين ما لا تريدين ..

واستمرت اللعبة بينهما اياما ..

هام بالساعات بفمه على قيد انملة من شفتيها ...

احتوى نهديها المتباعدين .. وكانهما على غير وفاق دائما .. باصابعه المشدودة .. غير انه لم يتجاوز ابدا وسادة الهواء الرقيقة التي حافظ على ان تكون فاصلا بين يديه وصدرها ..

وقالت له وانفاسها تتلاحق :

ــ انك تعود بي عشرين عاما الى الوراء .. لقد تصورت في وقت من الاوقات انني كبرت على اللعبة .

ــ ان الطفل الذي في داخلنا لا يكبر ابدا .. ايامنا فقط هي التي تشيخ ..

ــ ولكنني سوف احبك ..

ــ فليحدث ..

ــ ولكنني لا اريد ..

ــ الهم الانثى التي في داخلك .. هل تريد ..؟

ــ قلت لك انها ماتت ..

ــ اكاد اسمع همسها في ارتعاشة شفتيك ..

واستدارت عنه حتى لا تدعه يرى الدموع في عينيها .. واحتوت بدنها اللدن بيديها وكانها تريد ان تمنعه من ان يتفجر .. من ان يصرخ ..

واخذها بين ذراعيه ..

ولم تقل له بانه اخل باتفاقه معها .. ذلك انها كانت لحظتها في مسيس الحاجة لان تبقى بين ذراعيه ..

★★★

وايام اخرى تمر ..

وتدرج بها .. الى ان قالت له يوما :

ــ لم اكن اتصور ان هذا من الممكن ان يكون بين الرجل والمراة .. هل اعترف لقد اكتشفت الان انني لم احب من قبل ..

ونظر في عينيها طويلا .. وود لو انه صدقها .. او صدق اذنيه ..

لم يكن يحلم بان تجربة معها سوف تجعلها تنسى ما لها من تاريخ ..

★★★

ــ اسمع .. مالي اراك تستعمل تلك التعبيرات المستحدثة .. ومن وقت لم تكن تروق لك .. وفي رايي اننا لسنا في حاجة اليها في موقفنا الذي نحن فيه .. المسالة ابسط من كل هذا الرنين .. اعتقد انها فحسب شعرت بان تجربتي معها كانت شيئا يختلف عن تجربتها او تجاربها السابقة ..

ــ ولكنها قالت بانها لم تحب من قبل .

ــ ربما تجاوزت قليلا تحت تاثير اللحظة ..

لا تنس انها كانت وقتها لا تملك من كل جسدها شيئا .. كان ملكي انا .. كان في استطاعتي ان امسحه بالقبل .. من القدم حتى مفرق الشعر .. وكان في استطاعتي ايضا ان ادميه .. لطالما تمزق بدنها تحت وطأة تحرقات الشهوة في كياني .. لقد شعرت معها بمتعة الغازي المنتصر ..!

★★★

واستلقت على ظهرها في الفراش .. عارية .. لم تعد تخفي عنه شيئا من جسدها ..

ونظر اليها مليا ..

وافزعه للحظة ان راى خطوطا من تجاعيد تفترش وجهها .. وكان الارتواء لم يقو على اخفائها .

كانت منهوكة القوى لكثرة ما اعطت .. وربما ايضا لكثرة ما اخذت .. واحس بالاشفاق عليها ..

ولم يغب عنها ما احس به نحوها .. فاغلقت عينيها لحظات وكانها تستريح من كل شيء .. ثم عادت تنظر اليه .. واستراحت نظراتها عليه .. وكانت هي الاخرى مليئة بالاشفاق ..!

ولم يرها بعد ذلك .. ابدا ..!

★★★

ــ تصور انني اطلبها في التليفون واسمع صوتها وهي ترد علي .. ومع ذلك تنكر نفسها وتدعي انها الشغالة .. انها تتصرف معي كما تتصرف الانثى مع الرجل ..

ــ الم تقل انت بانها كانت انثى .. او في القليل .. كانت تحمل في داخلها كل القدرات لان تكون انثى ..

ــ ذلك ما قلته لها .. ولكن بقصد ان اجعلها كذلك .. اما ان تصدقه وتسلك معي من خلاله فهذا ما لم اكن اتوقعه ..

ــ لقد بدات اللعبة .. وكان لا بد للعبة ان تنتهي .. لكل لعبة مبتدا وخبر ..

ــ انت واهم .. بل اللعبة هي المبتدا وهي الخبر ..

ــ هي المبتدا ..؟ وهي الخبر ..؟!

ــ اتذكر ايام طفولتنا في المدرسة ..؟ عندما كنا نقف ووجوهنا امام الجدار رافعين ايدينا الى فوق للذنب ارتكبناه .. انني احس الان نفس الاحساس .. اشعر بانني واقف امام جدار طويل عريض .. وكانه سقف الدنيا .. ارفع يدي الى فوق وكاني اريد خربشة وجه السماء .. والصرخات تملأ حلقي .. ولكنها لا تريد ان تخرج ..

ــ تستطيع ان تصرخ .. انا كاتب قصتك .. وآمرك بان تصرخ ..

ــ ليتها تسمع صرخاتي .. ليتها تسمع الحقيقة التي اختزنتها طويلا في صدري .. انا لم احبها يوما .. فقط راق لي ان العب معها اللعبة .. فقدمتها اليها .. كي نلعبها معا .. ولكنها استنزفت عواطفي كي ترتوي .. ثم ابت الا ان تقهرني .. وتلقي بي في وجه الجدار لاستصرخ عذاباتي .. فاللعبة لم تنته بعد .. انها المبتدا ..

ــ والخبر ...!

وفي ركن آخر من الدنيا .. كانت سامية هانم تلقي براسها على كتف رجل اخر .. وكانت هادئة تماما .. لم يكن يدور في راسها ان لعبة قد انتهت .. وان اخرى في الطريق لان تبدا .. وانما كل شيء كان مستمرا .. وكان شيئا لم يكن ..!

حتى قراءة الاوراد .. والعد على المسبحة .. والقيام الى الصلاة .. كل ذلك كان في انتظارها في البيت .. آخر الليل ...!

محنة النكسة رفعت الشعر الملتزم الى مكان الصدارة

□ الشاعر كمال نشات : وعيفنا بقضية احتلال الارض العربية اعمق من اي ممارسة للشعر □

□□ يضع النقاد في بلادنا اسم الشاعر كمال نشات ضمن الاسماء القليلة التي ساهمت بنصيب وافر في حركة الشعر الجديد ، هذه الحركة ، ارتبطه باسمي والافكار المتقدمة التي رفعت الويتها ثورة ١٩٥٢ .

واذا كان صلاح عبد الصبور قد ادى ، في مستهل حياته الادبية ، دور الشاعر الذي تغنى بحياة البسطاء ، وخاض احمد عبد المعطي حجازي تجربة الشاعر الريفي الذي نزح الى مدينة بلا قلب .. الخ فان كمال نشات هو الذي عرف كيف يتغنى بالعلاقات الاسرية والانسانية من خلال رؤيته الواعية للعصر .

وتعد قصيدته « نامت نهاد » ــ عن ابنته الصغيرة ــ التي يفصح فيها عن مشاعر الابوة الجياشة ازاء الطفولة البريئة ، من خير القصائد الشعرية في ادبنا المعاصر مبنى ومعنى ، لانه تمكن فيها من ربط التجربة الخاصة بالتجربة العامة ، بحيث اصبح كاتب ينتمي الى الجيل الماضي رمزا لجيله الشقي كله ، وابنته نهاد رمزا لطلائع جيلها الجديد .

وقد صدر لكمال نشات حتى الان اربعة دواوين شعرية ، وترجم كثير من قصائده الى عديد من اللغات الاجنبية .

وفي هذا اللقاء يطرح كمال نشات مجموعة من الافكار تثير النقاش ، ولا سيما رايه حول اقتدار عمود الشعر القديم على التعبير عن ايقاع هذا العصر ، لان الحياة الجديدة لا يمكن التعبير الخلاق عنها الا بالعمود الجديد ..

غير اننا لا نملك الا ان نحترم تجربته الشعرية الاصيلة على مستوى الحركة الشعرية في العالم العربي .

الشعر والالتزام

● كيف ترى الشعر والشاعر وقضية الالتزام ازاء المجتمع والعصر ؟

ــ الشعر في رايي استجابة للحياة في كل صورها ، ثم صياغتها ابياتا . والشاعر الاصيل ، حتى في تصويره لاحاسيسه الفردية ، يعبر عن تجربة الانسان من حيث هو انسان . وما دام قادرا على التعبير عن هذه التجربة تعبيرا فنيا عاليا فالانسانية في حاجة اليه .

اما قضية الالتزام فهي في حقيقتها لا تحتاج الى كل هذه التعاليم والوصايا التي قيلت بشانها . ذلك ان الشاعر اذا تغنى بالزهرة ــ وهو مرفوض في نظر الواقعيين ــ يؤدي نفس الدور التقدمي الذي يؤديه الشاعر الذي يتحدث عن بؤس الفلاح ، لان القارىء اذا تلقى تجربة الشاعر في وصف الزهرة ، واحس بها ، نما ذوقه وصفا ، ومن ثم يصبح قادرا على الاحساس بالجمال وسائر القيم الجمالية . وفي هذه الحالة يرفض كل ما هو قبيح وهدام .

تيارات شتى

● بحكم اتصالك الطويل بالحركة الشعرية في مصر ، ما هي ابعاد هذه الحركة ؟

وما نصيبنا في حركة التجديد على مستوى العالم العربي ؟

ــ الملاحظ ان كثيرا من الشعراء من ابناء جيلي الذين تعدوا مرحلة الشباب ، مثل محمد الفيتوري ، فوزي العنتيل ، صلاح عبد الصبور ، عبده بدوي ، قل انتاجهم الان . الا انه ظهرت مجموعة اخرى من الشعراء الجدد تعد بغزير العطاء ، ابرزهم امل دنقل . ولا زالت التيارات الشعرية مختلفة في مصر ، شانها في سائر الاقطار العربية .

ولا شك ان محنة النكسة جعلت الصدارة للشاعر المرتبط بواقع امته النضالي .

اما بالنسبة للتاريخ ، فالحق اننا كنا اول دعاة الشعر الجديد . ولو انك رجعت الى محاولات عبد الرحمن شكري في كتابة القصيدة المطلقة القافية ، والى ابي شادي الذي كتب « مجمع البحور » ، وهو ان يكون البيت في كل قصيدة من بحر مختلف ، والى علي احمد باكثير في ترجمة « روميو وجولييت » ، لعرفت ان ارهاصات هذه الحركة التي عمت العالم العربي نبتت بادىء ذي بدء في مصر .

والذي حدث ان اخواننا شعراء العراق هم الذين وضعوا اللمسة الاخيرة في بناء القصيدة ذات التفعيلة الواحدة .

كذلك اعتقد ان القصيدة الحرة في مصر اكثر اتصالا بوضوح الرؤية الشعرية من قصائد اخواننا اللبنانيين مثلا . ذلك ان شعراءنا ، على الرغم من تاثرهم بكل التيارات الادبية الحديثة ، فانهم اكثر التصاقا بالتراث .

الشكل القديم والشكل الجديد

● ماسر تراوح انتاجك بين الشكل القديم والجديد ، وعدم التزامك بقالب شعري واحد ؟

ــ لقد استطاعت امة من ارقى الامم ، هي الامة العربية التي لعبت دورا في تاريخ الحضارة ، ان تعبر من خلال هذا الشكل الكلاسيكي المعروف للقصيدة عن خلجاتها ومشاعرها المتباينة . ولم يضق هذا القالب التقليدي من اداء ذلك عبر ١٤٠٠ سنة . لذلك فاني لا استطيع طرحه تماما ، لا سيما وان جمهرة القراء لا تزال تؤثر الشكل القديم .

الا انني في السنوات الاخيرة القيت بثقلي كله على القالب الجديد ، لانه بالطبع اكثر طواعية في حمل ما يزخر به العصر من افكار ومعان ، الى جانب انه اقل مشقة .

ورايي ان الشاعر حر في انتقاء القالب الذي يفضله ، لان القضية في السجال بين مؤيدي الشكل القديم والجديد ليست قضية شكل على الاطلاق ، وانما هي ، في المحل الاول ، قضية الشاعرية الاصيلة . والشاعر الحق قادر على الابانة عن افكاره ومشاعره حتى نثرا . اليس هناك من النثر ما يفضل الشعر ؟

نبيل فرج ــ القاهرة

أخبار

تكريم المعلم في بسكنتا في احتفال الرابطة الادبية الرياضية

□ اقامت الرابطة الادبية الرياضية في بسكنتا احتفالا تكريميا للمعلم جرى خلاله تقليد الاخت مساري انطوانيت الخوري وسام المعارف لمناسبة مرور ستين عاما على توليها التربية والتعليم في مدرسة راهبات البزنسون في البلدة. القيت في الاحتفال كلمات لجورج غانم باسم المجلس الاعلى للثقافة في المتن الشمالي ، ولرشدي المعلوف باسم الصحافة ، ولفرنسوا هيبقة باسم الرابطة ، وللدكتور توفيق الصباغ باسم وزير التربية راعي الاحتفال . كما تكلم ممثلون عن طلاب مدارس بسكنتا ، ووزعت الجوائز على الفائزين بالمباريات الادبية، وتخللت الحفلة بعض الرقصات الفولكلورية . وقد ركز الخطباء على الدور الذي يؤديه المعلم في مجتمعه مشيدين من خلال هذا الدور بفضائل الاخت المحتفى بها .



□ فرنسوا حبيقه رئيس الرابطة الادبية الرياضية في بسكنتا يلقي كلمته □

من كلمة رشدي المعلوف : « ... ولانك ضربت الرقم القياسي في الخدمة، فوقفت ستين سنة تعلمين وتهذبين . ولو وقفت ثلثها لكنت وفيت قسطك كاملا . فكانك اعطيت مدى ثلاثة اعمار ، امد الله بعمرك ، فبت اقرب الى المؤسسة منك الى الفرد .

ولانك ، وقد كانت بسكنتا مجال وفائك ، قدمت للمؤرخين تاكيدا جديدا لمعنى بسكنتا ، الذي كيلما نسروه دل على المعرفة والحكمة والاشعاع ، سواء اكانت تعني المكان الذي اعتاد ان يقصده ابو المؤرخين سنكس ياتون البيروتي الفينيقي ، أم كانت بيت الحكمة ، ام بيت الشرع .

ولانك كرست ورسخت فكرة ان يكون التعليم في لبنان من المكان العالي، من مثل شرفة صنين ، حيث صفاء الفكر وارتفاع النفس وشمول النظرة، ووحي الطبيعة ودروسها » .

— من كلمة جورج غانم :

« الساعة وكل آن صوتك صوت الوطن

اصعد من القمقم ايها السيد

توجه الى الارض الجديدة ، وفي الطريق اخلع ثوبك القديم الحزين ، احرقه بالنار على الطريق . وهنالك في تلك الارض ترتدي ثوبا اخر ، تشرق بوجه اخر ، ترجع الى اهلك انسانا جديدا اخر .

ورياح الارض الجديدة تنفض عنك غبارا عتيقا . هنالك تغسلك الريح والشمس فتتالق وتتصفى . تنسى الوهم ، وتنسى كلمات البغض الهزيلة الصغيرة . ترجع مثل الابطال الى اوطانهم هازجين .

انئذ ايها السيد ، تصير حاضرا لكل امر كبير .

انئذ تصير كنز الكلمات العظيمة .

تصير بطلا ، ايها السيد ، وتشرفك الرسالة التي تطلقها في الناس .

واذا ما ثرت على ذاتك واحرقت اشباح الوهم والعوز والحاجة ، ووقفت تهزج فوق رمادها ، وادركت انك بالنبل تنال لقمتك وتتعزز وتتشرف ، وعلمت هذا ، تكون ، قد عاد الانسان الجديد من ضلعك يولد، تصير آدم الزمن الاتي ، ومن اضلاعك الكثيرة تتفتح وتنمو زهرة البشرية النبيلة .

يا سيد الكلمات ، احملك في طريقك على الجلجلة اعباءنا الثقيلة لانني ابصر في وجهك وجوه اطفالي واصدقائي، ووجه وطني » .

— من كلمة الدكتور توفيق الصباغ ممثل وزير التربية :

« العطاء الذي ثابرت عليه طوال نصف قرن ونيف ، في هذه المنطقة العظيمة بخيراتها وشعرائها ومفكريها وفلاسفتها ، هذا العطاء الكريم الهاتمي ، لا يضارعه الا عرفان الجميل العارم الذي نشهده اليوم في هذا الحفل الكبير يضم كرام الناس .

وانت لم تكتف بالعطاء وحده بل قرنت به المحبة التي هي ركن من اركان تعاليم الانجيل الاساسية ، ومن كان هذا نهجه فقد ضمن النجاح لرسالته ».

— من كلمة فرنسوا حبيقة رئيس الرابطة الادبية الرياضية في بسكنتا :

«والرابطة الادبية الرياضية» يسرها ان تبقى منضوية تحت لواء الادب والرياضة العنصرين الاساسيين في حياة الامة المتطلعة الى مستقبل افضل .

فرسول الانسانية هذا هو المعلم الذي صهر البشرية والعالم في بوتقة واحدة فكانت الانسانية المتناسقة المتاخية » .

والقت جهاد ابو حيدر كلمة طالبات البزنسون ، ونوال خلف كلمة مدرسة بسكنتا الرسمية المختلطة ، وثريا مبارك كلمة مدرسة الفرير .

دبلوم دراسات عليا بدرجة جيد جدا

□ نال المحامي غالب غانم الجار في الادب العربي ، شهادة دبلوم الدراسات العليا (ادب عربي) ، في كلية الاداب والعلوم الانسانية في الجامعة اللبنانية بدرجة جيد جدا ، وذلك على الرسالة التي قدمها بموضوع « شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية » . وقد جرت مناقشة الرسالة باشراف لجنة مؤلفة من الدكاترة جبور عبد النور واحمد مكي .

رسالة الى محمود درويش
قصيدة جديدة لفؤاد الخشن
في « الملحق » المقبل

(تتمة المنشور في الصفحتين ٦ — ٧)

٤ — ان اليسار العربي الجديد ، سواء في صفوف المقاومة أم في المجتمعات العربية الاخرى، ينتقد الاتحاد السوفياتي ويطالب بمزيد من الالتزام اليساري ويطالب ويعمل على قلب الانظمة العربية التقدمية باعتبارها في نظره غير اشتراكية ومرتكزة على البورجوازية الصغرى . بينما الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية العربية ، باستثناء بعضها ، تساند تلك الانظمة .

تناقضات وحقائق

نعم هنالك ، بالرغم من استمرار تطور العمل في العلاقات العربية السوفياتية ، اكثر من نقطة ضعف او احتكاك أو مولد للتناقضات، وهذه النقاط مستغلة الان من قبل الاجهزة الاسرائيلية والامبريالية ، لتهديم أو ضرب العلاقات العربية السوفياتية . واليسار العربي الجديد ، الذي دفعه يأسه أو المه من نكسة حزيران ١٩٦٧ ، الى الهرب الى الاستسلام والتطرف ماركسيا ، ويبحث من خلاصه عند حدود الصين او في الدوغماتية الماركسية اللينينية ، (بدلا من ان يبحث عنه في البحث الجدي والتحليل الموضوعي والتضحية) .. يساهم اليوم من حيث يدري او لا يدري في هدم هذا اللقاء بين الاتحاد السوفياتي والشعوب العربية .

لقد راى البعض في المعاهدة السوفياتية المصرية تلبية ضرورية لترابط المصيرين العربي والسوفياتي بعد وفاة عبد الناصر .

كما يرى البعض في موقف الاتحاد السوفياتي الواقعي من المساعي السلمية ، انحرافا عن الثورية او مهادنة للامبريالية .

وقد يخيل لبعض السذج ان الفروقات التطبيقية بين المحاولات الاشتراكية العربية وبين الاشتراكية المطبقة في الاتحاد السوفياتي، ان تمسك العرب باسلامهم وبخصائصهم القومية من شانه ان يتعارض مع الاممية والماركسية اللينينية التي يمثلها الحزب الشيوعي السوفياتي .

ويخلصون من ذلك كله الى القول بان الانفصام بين المصير العربي والاتحاد السوفياتي واقع لا محالة . وان التمهيد له يجب ان يبدأ منذ اليوم وانطلاقا من تلك التناقضات الكامنة في العلاقات الراهنة .

ولكن بالرغم من هذه التناقضات الكامنة وبالرغم من المؤامرات الامبريالية والصهيونية لضرب العلاقات السوفياتية العربية ، فان ثمة حقائق تعلو فوق كل واقع :

ا — وهي ان هذا اللقاء التاريخي بين الاتحاد السوفياتي كرائد للثورة الاشتراكية في العالم وبين العالم العربي ليس مجرد صدفة او نتيجة لسياسة ذكية او شخصية ، بل لقد كان هذا اللقاء نتيجة طبيعية لتطور الشعوب العربية ولاكتشافها ارتباط نضالها القومي بنضالها من اجل التحرر الانساني . فالماركسية اللينينية لا يمكن ان تهضم الصهيونية ولا ان تهادن الاستعمار حتى ولو مرت فترات مهادنة او وقعت اخطاء في التقييم والتكتيك ، كما ان الدعوة القومية العربية كان لا بد لها ، من التطعيم بالفكر الاشتراكي ومن الارتباط بحركة التحرر العالمية ، هذا على الصعيد العقائدي والجدلي، اما على الصعيد السياسي والدولي ، فان هذا اللقاء والتعاون قد جاءا نتيجة حتمية لاخطار الغرب ولسياسته الاستعمارية والامبريالية ونتيجة حتمية للعدوان الاسرائيلي المتالف مع المخططات الاستعمارية ، ومضينا متاكد على ثمن والمار هذا اللقاء انه قائم على تلبية حاجات الشعوب والدول العربية وانه لا شروط له ، ولا تدخل في شؤون الغير ، بالاضافة الى انه يناسب مصلحة الاتحاد السوفياتي الاقتصادية كما يناسب مصلحة الدول العربية في تنمية صناعاتها وموارد‌ها .

صحيح ان الاتحاد السوفياتي لم يلتزم من اسرائيل ، كدولة ، الموقف الذي يلتزمه العرب ، اي ان يسحب اعترافه بها .

وصحيح ان الاتحاد السوفياتي لا يزال حريصا على عدم اشتعال نار حرب عالمية ثالثة ، وبالتالي غير متجاوب مع فصائل اليسار العربي الجديد المتطرفة .

ولكن .. كل شيء يدل على ان الصداقة العربية السوفياتية هي امتن وامنع من ان تشوهها او تهدمها المؤامرات الامبريالية والصهيونية ، بل انها مدعوة لان تزداد ثوثا وازدهارا ، وطاقة مشتركة لتصفية الصهيونية والاستعمار من هذه البقعة من العالم ، وبناء عالم الغد على اسس السلام العادل وتعاون الشعوب المتحررة من الاستعمار والتخلف .

(القيت هذه المحاضرة في نادي جمعية الصداقة اللبنانية — السوفياتية)

هكذا من الأصل